

جامعة الدول العربية
الأمانة العامة
الادارة الثقافية

المعالم الأثرية في البلاد العربية

الجزء الأول



الجمهورية العراقية

الجمهورية العربية اليمنية

مطابع مدكور وأولاده بالقاهرة

رقم الايداع بدار الكتب ٤٢٠٩ / ٧١



جامعة الدول العربية
الأمانة العامة
الادارة الثقافية

المعالم الأثرية في البلاد العربية

الجزء الأول

الجمهورية العراقية
الجمهورية العربية اليمنية

محتويات الكتاب

صفحة

ثانيـــاً : المعـــالم الأثريـــة فى الجمهوريـــة العربيـــة اليمنيـــة

مقدمة

يسر الادارة الثقافية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، أن تقدم الجزء الأول من كتاب « المعالم الأثرية فى البلاد العربية » .

ويشتمل هذا الجزء على آثار دولتين من الدول العربية هما : الجمهورية العراقية ، والجمهورية العربية اليمنية ،

أما آثار الدول العربية الأخرى ، فستصدر تباعا فى أجزاء تالية برهانا ماديا على الوحدة التاريخية والحضارية للوطن العربى .

ولقد نبتت فكرة اصدار هذا الكتاب ، فى الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، فى عام ١٩٥٦ ، ثم تثبتت جذورها بعد المؤتمر الرابع للآثار فى البلاد العربية الذى عقد فى تونس فى مايو ١٩٦٣ ، وتناول هذه الفكرة بالمناقشة ضمن جدول أعماله ، واتخذ التوصية التالية التى أقرها مجلس الجامعة فى سبتمبر ١٩٦٣ :

« يوافق المؤتمر على وضع كتاب عن « المعالم الأثرية فى البلاد العربية » ينشر باللغة العربية ، ويترجم أيضاً الى اللغات الأجنبية الحية » .

وجاء المؤتمر الخامس للآثار الذى عقد فى القاهرة فى مايو ١٩٦٩ ، ليعطى مشروع هذا الكتاب دفعة قوية ، ذللت كثيرا من العقبات التى أبطأت به حتى ذلك الحين ، اذ أصدر توصية ناشد فيها الدول العربية ضرورة الاسراع فى موافاة الادارة الثقافية بالمادة العلمية عن آثارها ، وفقا للمنهاج الذى تقرر لتأليف هذه المادة ،

وهكذا أمكن البدء في نشر هذا الكتاب ، للتعريف بالحضارة العربية ، داخل الوطن العربي وخارجه ، باعتبار ذلك خدمة ثقافية محضة ، وباعتباره — في الوقت نفسه — خدمة للمصلحة العربية العليا ، أخذا بكل أسباب الانتصار لقضايانا في عصر أصبح يفرض على أصحاب القضايا العادلة ، الأخذ بكل الوسائل ، بلوغا الى نصرتها ،

ونعتقد أن هذا الكتاب ، الذى بين أيدينا جزءه الأول ، سيحقق الكثير في هذه الناحية ، اذ يطالع فيه المواطن آثار أمته ، فيتجدد اعتزازه بذاته ، وثقته بنفسه ، وهما أساسان للنصر لا غنى عنهما ،

ثم يقرأه الأجنبى بلغته ، بعد أن يترجم — وهو ما ستشرع فيه الادارة الثقافية باذن الله تعالى — فيقف على حقيقة هذه الأمة ، ويقر بدورها الطليعى في بناء الحضارة الانسانية ، ويزداد يقينا ، أو يستيقن من بعد شك ، بأن أمة هذا شأنها ، جديرة بالاحترام ، قادرة — بما لها من ملكات — على اشادة صرح حضارة جديدة ، كما شيدت أصول الحضارات السابقة ، وبذلك يمكن المعاونة ، في استقطاب قطاعات في الرأى العام العالمى — شيئا فشيئا — الى صف قضايانا العادلة ، في وقت أصبح لهذا الرأى ، في ميزان السياسة العالمية ، كفة راجحة .

والله تعالى هو نعم المسئول ، وبه التوفيق

مايو سنة ١٩٧٠

مدير الادارة الثقافية
(محمد طه النمر)

المعالم الأثرية

في

الجمهورية العراقية

نبذة عن تاريخ العراق *

لا بد للباحث فى تاريخ العراق من أن يمهد لبحثه بوصف جغرافى ، فالعراق يقسم بصورة عامة من حيث طبيعة أرضه وتوفر الماء وغزارة المطر واختلاف المناخ وتباين البيئة النباتية والحيوانية الى الأقسام الأربعة الآتية وكان لكل منها أثره فى تطور العيش والتدرج فى سلم الرقى :

١ — وادى ما بين النهرين ، وهو الحوض المحصور بين دجلة والفرات وينحدر تدريجياً من الشمال الى الجنوب نحو الخليج العربى ، ويشمل هذا القسم ضفاف الرافدين أيضاً . وتنحدر الأرض الى هذا الحوض من الشرق حيث توجد سلاسل جبال زكروس وبشته كوه ومن الغرب حيث تقع هضبة الجزيرة العربية . ويقسم هذا الوادى بخط وهمى يمر من بلد على دجلة الى هيت على الفرات الى جزئين ، الأسفل منهما السهل الغربى المتكون من طمى النهرين . وهذا السهل دلتا الرافدين وموطن أقدم الحضارات فى العراق ، خصب التربة ، سهل الارواء لارتفاع مجرى النهرين عن سطح الأرض . فقد نشأت فى هذا السهل بالاعتماد على الزراعة والارواء المدن الأولى المعروفة وازدهرت حضارة السومريين والحضارات التالية لها مما سنأتى على ذكره .

ولا بد من أن نذكر أن الأمطار شحيحة فى هذه الدلتا وإنه لا توجد فيها المعادن الأولى التى عرفها الانسان ، حتى ان الحجر كان ينقل اليها من مناطق خارج حدودها . والجزء الأعلى من وادى ما بين النهرين عبارة عن أرض متموجة تتوفر فيها أحجار الرخام والكلس وتكاد أمطارها تكفى للزراعة الديمية وقد عرف هذا الجزء فى كتب البلدانيين العرب بالجزيرة .. وتكثر فى أقسامه العليا التلول الأثرية والمدن القديمة ولا سيما على ضفاف النهرين .

٢ — الصحراء الواقعة الى الغرب من نهر الفرات والممتدة بامتداد العراق . ومنذ فجر التاريخ لم تكن تصلح للسكنى ولكن فيها وديانا وشعابا يرتادها الرعاة طلباً للكلأ . وتنحدر الأرض من بادية الشام والجزيرة العربية

---

* بقلم الأستاذ فؤاد سفر — مفتش التنقيبات العام .

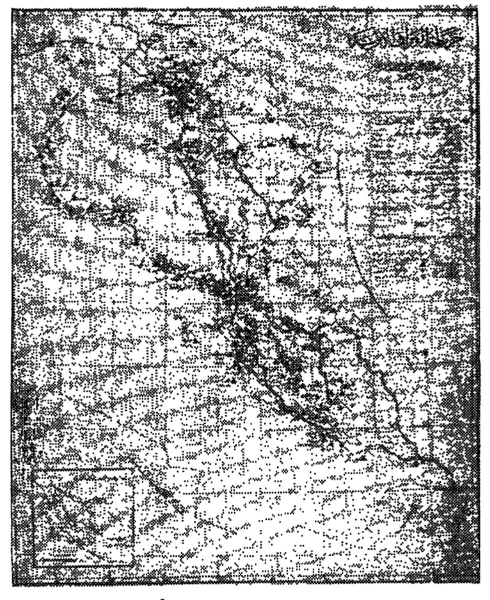
فى هذه الصحراء تدريجياً نحو الشرق الى منخفضات تكثر فيها الغدران والعيون حيث نشأت منذ أقدم الأزمنة مستوطنات كثيرة منها الرحالية والشفاثة والاخيضر والرهيمية والرحبة •

٣ ــ سهول الزابين وديالى الممتد من الشرق من دجلة الى السفوح الغربية لجبال زكروس وقد عرف الانسان فى هذه السهول الزراعة لأول مرة فى تاريخ البشرية قبل نحو اثنى عشر ألف عام ، لوجود الحبوب البرية فيها ولا سيما فى القسم المجاور للجبال • وكانت هذه السهول موطن الآشوريين فى أوج عظمتهم اذ فيها مدنهم الكبرى نينوى وكالح وخرسباد واربيل واربخاء

٤ ــ السلاسل الجبلية ، وتكون الحدود الشمالية والشرقية للعراق ، وامتدادها من الشمال الغربى الى الجنوب الشرقى وبينها هضاب وسهوب تكثر فيها العيون والأشجار والمراعى ، وأمطارها غزيرة غير انها فى فصلى الشتاء والربيع فقط • وفيها كهوف كانت مأوى للانسان البائد فى العصور الحجرية ومن هذه الكهوف كهف شاندر الواقع فى منطقة بارزان والذى وجد فى أرضيته ركام من الأنقاض بارتفاع (٤٣) قدماً نتج عن السكنى لمدة طويلة الأمد بلغت المائة ألف عام • وعثر فى هذا الكهف بنتيجة التنقيب على هياكل عظمية لأناس من جنس النياندرتال مع مجاميع من أدوات وآلات مصنوعة من الصوان والعظم مما كان مألوفاً فى العصر الموستيرى •

ولقد نشأت القرى الأولى عند معرفة الانسان للزراعة أو قبيل ذلك • وبدأت حياة الاستقرار والاستيطان فى أماكن ثابتة عندما تم للانسان أن ينتقل من طور جمع القوت الى طور انتاجه • وقد حدث ذلك على التلال المتاخمة لجبال زاكروس وطوروس فى العراق وايران وتركيا لملائمة البيئة فى هذه التلال للاهتداء الى الزراعة • ومن هذه القرى الأولى زاوى جمى وجرمو والملفعات • ثم انتشرت الزراعة الى وديان الأنهار وأرض الجزيرة حيث ظهرت قرية حسونة والاربجية وتل الصوان وقرى أخرى مماثلة تنشطت فيها الزراعة وازدهرت مظاهر الحياة فى الألفين السادس والخامس قبل الميلاد.

وظهرت المدن الأولى فى دلتا الرافدين كما ظهرت فى الوقت ذاته فى



اللوحة رقم ١ ـ خريطة العراق الأثرية

دلتا كل من النهرين العظيمين النيل والسند ، فى الألف الخامس قبل الميلاد •
وكان السبب فى وجود المدن عمليات الرى فى كل من هذه الدلتات الثلاث من شق الجداول لارواء الحقول وبناء السدود والسيطرة على الفياضانات فهذه العمليات اقتضت وجود مجتمعات واسعة تعيش فى نظام ادارى محكم يضمن التعاون وبذل الجهد بين أفرادها لانجاز تلك العمليات • ومن المدن الأولى فى العراق أور والوركاء واريد وونفر ولكش (اللوحة رقم ١) •

واهتدى السومريون فى مدنهم المذكورة الى الكتابة برسم الشىء الذى أرادوا تدوينه على ألواح الطين فى نهاية الألف الرابع قبل الميلاد • وتدرجوا على تبسيط هذه الصور ونشر استعمالها فبدأ عندهم التاريخ المدون قبيل منتصف الألف الثالث ق•م• ومنذ ذلك الحين صارت الأحداث والشؤون تسجل للأعقاب والسلف • أما قبل السومريين فاننا ما زلنا نجهل أسماء الشعوب التى سكنت العراق وألسنتها لعدم وجود الكتابة بعد • ولكننا نعرف أموراً كثيرة متعلقة بتلك الشعوب الأولى ، ومنها صناعة الفخار وأطوارها • وبناء المساكن والمعابد وأطرزتها وتصاميمها • والآلات التى كانت تستخدم من الحجر والعظم والأطعمة التى كانت سائدة لديها • وهذه الأمور يعبر عنها بمصطلح الآثاريين بأطوار حضارية نذكرها بحسب التسلسل الزمنى لظهورها ، ويقع معظمها فى العصر الذى يعرف بالحجر المعدنى • وهى ابتداء من أقدمها طور حسونة ويليه طور سامراء وحلف والعبيد والوركاء ولكل منها آثاره المميزة له • وأقدم الأطوار المعروفة فى دلتا العراق ، والتى كانت تعرف أيضاً باسم سهل شنعار ، هو طور العبيد الذى ظهرت بوادره الأولى فى مدينة أريدو (تل أبو شهرين) الواقعة الآن فى الصحراء بعيدة عن الفرات بما لا يقل عن الثلاثين كيلومتراً • وزعم السومريون أن الآلهة خلقت أريدو قبل غيرها من المدن التى خلقتها من اليم وكانت عندهم مركزاً لعبادة انكى اله البحار والعمق والمعرفة ، ويبدو أن سكان هذه المدن كانوا فى عصر العبيد ، وعلى ما يحتمل ، ينتمون الى شعب مجهول سبق السومريين فى الاستيطان فى جنوبى العراق • ولا يعرف من لسان هذا الشعب شىء سوى عدد من أسماء جغرافية غريبة عن اللغة السومرية ومنها أسماء المدن •

ومهما يكن من الأمر فان السومريين أصحاب أقدم حضارة أصيلة معروفة فى تاريخ البشرية فقد ابتدعوا الكتابة وتوسعوا فى مجالى الفكر والعلم والتطبيق فوضعوا الشرائع الأولى لتنظيم المجتمع وخططوا المدن وبنوا الأبراج والمعابد وزينوها بشتى أساليب الزينة من ابداع فى التصميم وبرقشة وأصباغ وفسيفساء • وتركوا لنا أقدم المدونات العلمية المعروفة من هندسية وجغرافية ولغوية وطبية وفلكية وتاريخية • وقد كانت كل مدينة من مدنهم فى بادى الأمر مستقلة عن غيرها يدير شؤونها شخص يلقب بـ « اشك » وكانت له السلطتان الدينية والدنيوية معاً • ثم نشأت الملكية والسلالات الحاكمة مع الزمن وتوحدت البلاد فى ممالك معينة معروفة من الثبوت الموضوعة بأسماء الملوك ، دونها لنا السومريون • ومن أشهر هذه الدويلات مملكة لكس لمؤسسها اورنانشى،والسلالات الحاكمة فى أور وآخرها سلالة أور الثالثة التى كان لمؤسسها أورنمو الفضل الأول فى تعمير البلاد وتنظيم الرى وبناء الزقورات التى كانت أبراجاً مدرجة كل واحد منها يزين مدينة من المدن القديمة ويؤلف محور النشاط فيها • والزقورة بناء صلد مغلف بالآجر يتكون من عدد من الطبقات ومنها زقورة أور التى كانت تتألف من ثلاث طبقات الواحدة فوق الأخرى متدرجة فى المساحة ويصعد اليها بثلاثة سلالم من درجات مشيدة بالآجر ، وعلى الطبقة العليا معبد صغير جميل كان مخصصاً للاله القمر (سن) كبير آلهة المدينة •

وعاش جنباً الى جنب مع السومريين الأكديون الذين كانوا أقدم الأقوام السامية المعروفة والذين آلت السلطة اليهم فى نحو عام ٢٣٥٠ ق•م• فى زمن زعيمهم سرجون مؤسس أقدم امبراطورية معروفة فى التاريخ ، فقد تمكن سرجون بعد أن سيطر على مدن العراق من بسط نفوذه الى بلاد عيلام وسوريا والأناضول فنشر الحضارة الأكدية فى أقطار الشرق الأدنى • وانتعشت التجارة كثيراً وانتظمت طرق القوافل ومنها طريق مهم كان يصل مدينة أكد فى أواسط العراق بمناجم معدنى فى بلاد الأناضول حيث كان يستخرج النحاس وينقل لصناعة الأدوات والأسلحة ، ونشطت الفنون فى هذه الفترة واتسمت

بالحيوية والواقعية والتعبير عن قوى الاكديين ومضاء عزيمتهم وانتقلت معهم عبادة عشتار كبيرة آلهتهم أينما حلوا وحيثما رحلوا .

وفي مستهل الألف الثاني ق.م. بدأ تدفق الأموريين الساميين الى العراق وساعد على ذلك اختفاء السومريين والأكديين من مسرح القوى اختفاء كاملا . فظهر الأموريون زرافات وقبائل نزلت مع وادي الفرات الى أواسط العراق وانتشرت هناك على وادي ديالى وجنوبا في سهل شنعار فتكونت منهم مشايخ ودويلات مدن متفرقة لم تتهيأ لها أن تتوحد في مملكة واحدة الا في العام الواحد والثلاثين من حكم أحد ملوكهم وهو الملك حورابي المشهور بالشريعة المعروفة باسمه فقد وجد هذا العاهل ، بعد أن استتب الأمر له ودانت البلاد لنفوذه من شمال العراق الى جنوبه ، أن ينظم الأحوال الشخصية للفرد وصلاته بمجتمعه وبآلهته في شريعة واحدة ، يعرف بواسطتها كل فرد ما له وما عليه . غير أن سن القوانين لايكفي لضمان الاستقرار والتطور والرخاء مالم يكن المجتمع مدركا لفحوى تلك القوانين ومتمسكا بتطبيقها . ولعل ما حصل بعد وفاة حمورابي أن أصبح التفقه بالشريعة وسيلة للسيطرة على الضعفاء والآمنين من أبناء المجتمع . وانتهز سكان الجبال المتآخمة للعراق من الشرق وهم الكشيون ضعف المملكة فاستولوا على عاصمة البلاد بابل واتخذوها مركزا للادارة . ثم شيدوا لهم حاضرة جديدة باسم دور كوريكالزو تقع بقاياها بالقرب من بغداد . ولقد كانت للكشيين صلات دولية واسعة مع أقطار الشرق القديم في عصر اخناتون فقد وجدت أخبارهم في ألواح تل العمارنة . وظلت حضارة وادي الرافدين مستمرة بمظاهرها اذ اقتبسها هؤلاء الفاتحون الغرباء وتمدنوا بها ورفعوا مشعلها فعنوا بشؤون دولتهم باهتمام بالغ .

وكان في القسم الشمالي من العراق الآشوريون المشهورون في التاريخ بكثرة فتوحاتهم وفي عصرنا هذا بفنونهم الرفيعة ومنها النحت وكانت عاصمتهم الأولى آشور الواقعة على دجلة الى جنوبي الموصل بنحو ١٠٠ كيلومتر والتي نما فيها كيانهم وتوسع منها سلطانهم ويبدو أنهم منذ عهودهم الأولى عنوا بشؤون الحرب عناية خاصة وبأمور الادارة وتنظيم وسائل الحكم وادامتها . وما أن حل الألف الأول قبل الميلاد الا وكان لكل ملك حملات توسعية أو

تأديبية يقوم بها فى كل عام من سنى حكمه . وقد دونوا لنا أخبار تلك الحملات فى وثائق من الطين سجلوا عليها فتوحاتهم وأحداثهم سنة بسنة . ولقد كانت مدنهم المنتشرة فى جزيرة العراق وفى السهوب الواقعة الى الشرق من دجلة مثل نينوى وكالح واربل وأريخا تعج بالحركة والاستعداد والاستنفار لهذه الحملات العسكرية . واشتهر الأشوريون كذلك بميزة حضارية أخرى نلاحظها فى نينوى مثلا فقد شيد هذه المدينة ملكهم سنحاريب وأحاطها بسور طوله (١٢) كم وجعل لها خمسة عشرة بوابة وبنى فيها القصور والمعابد والثكنات وجلب اليها المياه بمشاريع رى كبرى نقل فيها الماء من الكومل ومن النهير بنداوا (؟) لارواء البساتين والحقول الواسعة المجاورة لنينوى . وشيد هذا العاهل قصره فى تل قوينجق من أطلال نينوى وكان يتألف من (٧٢) قاعة و (٢٧) بوابة وزين جدران هذا القصر بمنحوتات من الرخام رسم عليها بالنحت البارز الدقيق مشاهد مختلفة من المجتمع الأشورى بشتى نشاطاته ، وهذه الألواح لو وضع أحدها لصق الثانى فى خط مستقيم لبلغ طول هذا الخط ثلاثة كيلومترات . وعنى آشور بانيبال بجمع العلوم وتصنيفها فاستقطب حوله العلماء والكتبة من كل حدب وصوب وأصبحت لديه مكتبة عامرة بمحتوياتها وجدت فى قصره بنينوى وتتألف مما لا يقل عن أربعة وعشرين ألف رقيما طينيا .

وانتقل مشعل الحضارة الى الكلدانيين الذين اتخذوا بابل عاصمة لهم فى القرن السادس قبل الميلاد واشتهر ملكهم نبوخذ نصر بفتوحاته الواسعة وأعماله العمرانية الكثيرة وقد دانت له جميع بلاد سوريا باستيلائه على القدس وسبيه لليهود الى بابل . وطبق صيته الآفاق بتعميره مدينة بابل وتجميلها فصارت أعظم مدينة فى زمنها يشقها نهر الفرات الى شطرين ويحيط بها سوران منيعان مشيدان بالآجر ويتوسطها معبد مردوخ والبرج المدرج ، وتتألق فيها الجدران المزينة بالكاشانى وبصور الحيوانات . وكانت جنائنها المعلقة تبهر الأنظار .

ولقد كان زمن الكلدانيين آخر العصور التى نشطت فيه حضارة العراق القديم مستمرة فى النمو على أسسها الأولى الموضوعة من قبل السومريين قبل

ما ينيف على الألفى سنة • الا أنها كانت تلبس حلية جديدة كلمـــا حل فى البلاد شعب جديد أو تبدل الحكم من سلالة الى أخرى •

وتبوأ العراق وكذلك كل من وادى النيل ووادى السند مركز الصدارة فى سير الحضارة البشرية وسبق أن ذكرنا أن ذلك يعزى لأسباب أهمها ثروته الزراعية والمكاسب التى نجمت عنها • غير أنه ظهرت على مسرح التـــاريخ عوامل أخرى لتكوين الأمم وتفوقها ، ومنها اكتشاف الحديد واستعماله بكثرة، ومعرفة العجلة واستخدام الحصـان والافادة من الصنــاعة الطبيعية فى الأمور العسكرية وغير ذلك من العوامل التى كان لها الأثر البالغ فى سيادة المجتمعات وتفوقها ، فلم تبق الزراعة السبب الأول فى ذلك • فنشأت مراكز للحضـارة فى أماكن متفرقة من العالم القديم ومنهـــا فى بلاد فارس واليونان والرومان وآسيا الصغرى • وأخذت تنافس المراكز القديمة وتزيحها عن مكانتهـــا • فاســتولى الفرس الأخمينيون على بابل عام ٥٣٨ ق•م• واكتسح الاسكندر المقدونى بلدان الشرق بجيوشه عام ٣٣١ ق•م• ودخلت الجيوش الرومانيـــة أراضى العراق غازية فى أزمنة متفاوتة بعد أن توطد لها الحكم فى آسيا الصغرى وسوريا (منذ عام ٦٤ ق•م•) وجاءت مع هــذه الأحـداث الجســـام أراء ومعتقدات وأساليب فنية وقيم نفسية واجتماعية جديدة هزت الحضـــارات القديمة التى كانت متأصـــلة فى بلدان الشرق القــديم هزات عنيفـة أعاقت استمراريتهـــا •

وبلغت الحضارة القديمة فى العراق أوجهـا لدى الكلدانيين وانتهت العلوم الى مرحلة من الرقى بحيث تمكن أحد الفلكيين البابليـــين واسمه «نبورمنى» من أن يحسب خسوف القمر ويصل الى نتائج أكثر دقة من حسابات بطليموس وكوبرنيكوس وتمكن فلكى آخر واسمه كيدنو من مدينة « سبار » البابلية من أن يحسب موعد الاعتدالين الخريفى والربيعى فتوصل الى طول السنة الشمسية بحساب دقيق بحيث انه لم يخطىء فيه عن حسابنا اليوم ســوى بأحد عشرة دقيقة وستة عشرة ثانية •

وبالرغم مما أصاب الحضارة القديمة من صـــدمات نتيجـــة الأحداث السياسية المذكورة • فان وادى الرافدين صار مركزاً للعـــالم القـديم بسبب

موقعه الجغرافى ، ونشأت فيه عواصم للأمبراطوريات الواسـعة الجـديدة . وانفتحت اليه لأول مرة فى التاريخ بلاد الصين والهند فى عهـد الأخمينين الذين ضمنوا لمصلحة امبراطوريتهم ، الممتدة من أواسط آسيا الى وادى النيـل ، الطريق البرى المعروف فيما بعد بطريق خراسان والذى يدخـل العراق من خانقين بمحاذاة نهر ديالى .

وللمنطقة الوسـطى من العراق مزية فريدة من نوعهـا ، فيهـا يقترب دجلة من الفرات وتنساب اليها مياه ديالى . وتنحدر اليها الطرق من الشرق والشمال ومن الجنوب والغرب فاستقطبت هـذه المنطقة عواصم كبرى نشـأت فيها ، ومنها « أكد » عاصمة الأكديين و « بابل » عاصمة الأموريين والكلدانيين والاسكندر المقدونى ، وعقرقوف (دور ـكوريكالزو قديما) عاصمة الكشيين ، و « سـلوقية » حاضرة السلوقيين ، وطيسفون (المدائن) عاصـمة الفرثيين والساسانيين ، وأخيراً بغداد وارثة أمجاد العراق القديم .

غير ان العمران لم ينهض فى العراق نهضته الكاملة الشاملة الا بعـد الفتح الاسلامى للبلاد فقد تأسست مدن كبرى مثل واسط والكوفة والبصرة وعمرت مدن كثيرة قديمة مثل الانبار والموصـل ثم جاء دور العباسـيين الذين اتخذوا العراق مركزا للخلافـة وأسسوا بغداد لتكون قبـلة للأنظار ومحجـا لطلاب العلم والفن والأدب . وكان عصرها الذهبى فى زمن الرشيد والمـأمون حين صارت تزخر بمباهج الحياة وتعمر بشتى الفعاليات رائدها العـدل وارضاء الضمير وهدفها استقصاء الحقائق من علمية وفلسفية ودينية . وانصب الى بغداد من كل حدب وصوب نتائج العالم القديم من نفائس البضائع وكنوز الأرض وانهال اليها كل جديد من رأى وابتكار ووصل العراق فى هـذا العصر الى ما لم يصل اليه سابقاً فى تاريخـه الحـافل بالأمجـاد . ومن بقـاياه الخـالدة الآثار الشاخصة فى سامراء التى تحتل رقعـة تبلغ الأربعـين كيلومتراً طولا وبمعدل ثلاثة كيلومترات عرضـاً بامتـداد الضـفة اليسرى لدجلة ذلك الى القصور القائمة على الضفة اليمنى . ولقد شيد المعتصم سامراء وانتقـل اليهـا فصارت عاصمة الخلافة لما يقرب من خمسة وأربعين عاماً ، فخطط المدينة شاهدة على رقى المدينـة : شـوارع عريضة مستقيمة وقصـور كثـيرة واسعة مزينة

بالزخارف بأساليب مختلفة . ومساجد يحار المرء فى سعتها ومنها جامع الجمعة الذى شيده المتوكل وطوله : ٢٤ مترا من الداخل وعرضه : ١٦٠ مترا يحيط به جدار آجرى سميك وفى داخله (٥٨٠) عاموداً لدعم السقوف ، وأمامه المئذنة المعروفة بالملوية والتى تدل ضخامتها وبساطتها على عظمة العصر وصفاء الفكر فيه وخلوصه من التعقيدات ذلك الى الدعوة الى الايمان .

ومما لا شك فيه أن الذى أعاق النمو وحد من النشاط هو استحواذ جماعة ليسوا فى الأصل من أهل العراق على السلطة فأسسوا دويلات تنـازع الخلافة الشرعية سلطانها ولم يبق للخليفة فى كثير من الأحيـان سوى اسمه الرمزى ومركزه الدينى . وصارت جهود الدولة كثيرا ما تبذل لا فى سـبيل خدمة المجتمع وضمان مصالح الفرد بل فى سبيل توطيد سلطان الحاكم بكل الوسائل وجمع المـال والاثراء بشتى الطرق فتقهقرت الحضارة وتخلف العمران وما أن دق المغول أبواب بغداد الا وانهارت الخلافة العباسية أمامهم انهيـاراً لا نهوض بعده . وزاد فتح المغول الطين بلة فاسـتمر الانحلال وانتشر الاهمال رغم ما بذله من نشاط البعض من الحكام الايلخانيين فى مراكز معينة مثل واسط .

وأخيراً ضم العراق الى السلطنة العثمانية فى استنبول بسقوط بغـداد بيد السلطان مراد الرابع عام ١٦٣٦ وظل محكوماً زهاء الثـلاثة قرون الى أن تحرر فى نهاية الحرب العـالمية الأولى وأخـذ ينهض من كبوته بتأسيس الحكم المحلى فيه وبفضل ثورة أبنائه فى عام ١٩٢٠ وسـار حثيثاً فى نهضـته العارمة لبناء مستقبل فاضل يجوب فيـه الفرد العراقى بجرأة وكفاءة وحماس فى مجـالى الفكر والعمل .

متاحف الآثار فى العراق *

فى العراق مديرية عامة للآثار تابعة لوزارة الثقافة والأعلام ، وقد أنيط بهـا مسؤولية ادارة المتاحف والمعارض الفنية وصيانة الآثار القديمـة واجراء التنقيبات الأثرية والاسـهام فى البحوث والدراسـات عن التراث الحضـارى لوادى الرافدين منذ أقدم العصور حتى العهود الاسـلامية والكشف عن أوجه الخدمات العاليـة التى أداها العراقيون القدماء فى شـتى حقـول العـلوم والفنون والآداب خلال ركب البشرية الطويل بما خلفـوه من تراث ضـخم فى مختلف ميادين المعرفة .

ولقد رعت الحكومة العراقية هذه المؤسسة نوفرت لهـا امكانيات كافيـة فى جميع ميادين نشاطها وفعاليتها العلمية والفنية مما كان له الأثر الفعال فى انجاز مشاريع الآثار فى العراق . والعراق باعتباره مهداً من المهود الأولى للحضارة الانسانية يزخر اليوم من أقصاه الى أقصاه ببقايا الاستيطان والعمران بهيئة مدن دارسة وأبنية تاريخية وتلول كثيرة منتشرة فى كل مكان تكونت نتيجة السكنى فى عصور متعاقبة خلال آلاف السنين . ومن أشهر هذه المواقع التى كانت مراكز حضارية كبيرة عامرة بالسكان زاخرة بالفعاليات مواقـع أور والوركاء ولجش وكيش مهد الحضارة السومرية وبابل حاضرة المشرع الأكبر حمورابى وعاصمة نبوخذ نصر المشيد للمبانى القائمة فيها اليوم ، ونينوى عاصمة الآشوريين ومدينة الحضر التى كانت مركزاً مهما للقوافل عبر الصـحراء . وهنـاك التراث العربى الاسلامى الفريد المتمثل فى الأطلال والبقايا الشـاخصة فى بغـداد وسـامراء والموصل وباقى المدن الأخرى .

ولقد انتبه العالم الى أهمية بقايا هـذه المدن المندرسـة فى العراق منـذ منتصف القـرن المـاضى حـين بدأت عمليـات التنقيب الأولى من قبـل المنقبين الأوربيين فى شمال وجنوب العراق ، منهم ليارد الذى نقب فى نينوى ونمرود ،

---

* بقلم الأستاذ صادق الحسنى - مدير النشر والتصوير .

وبوتا الفرنسي الذي حفر في خرسباد ، وعشرات من المنقبين من مختلف أنحاء العالم . واستمر الحال على ذلك الى أن تأسس المتحف العراقي في بغداد عام ١٩٢٣ ، وتضاعفت فعاليته مع الزمن وتولى العرافيون التنقيب في أماكن كثيرة . ويشغل اليوم المتحف العراقي ومختلف أقسام مديرية الآثار العراقية في بغداد بنايات عصرية يعمل بها نخبة من ذوي الاختصاص بالآثار . وان مديرية الآثار العامة ما زالت ترحب بمشاركة المؤسسات الآثارية والمتاحف العالمية في التنقيب والبحث في العراق للكشف عن تراثه الحضاري لا سيما وان حقول البحث والتنقيب واسعة جداً في هذه البقعة من العالم . وبفضل هذه الجهود المبذولة صارت الكشوف الأثرية تترى ، فلا يمر عام الا وتظهر حقائق جديدة تبرز فضل وادي الرافدين في تقدم البشرية ، منها ابتكار الزراعة واختراع الدولاب والعجلة وصناعة المعادن وظهور الكتابة وتطور الهندسة المعمارية ثم ممارسة الفنون الجميلة والنحت بمختلف أطواره . وكل هذه المكتشفات محفوظة بعناية تامة في متاحف الآثار العراقية في بغداد وخارجها . وان هذه المخلفات معروضة بأسلوب فني رائع في بنايات ، منها تاريخية قديمة ومنها حديثة التشييد .

وفيما يأتي نبذ ايضاحية عن متاحف الآثار العراقية :

المتاحف داخل بغداد

١ - المتحف العراقي :

أنشيء المتحف العراقي سنة ١٩٢٣ في بناية صغيرة بجانب الرصافة من بغداد أول الأمر ثم نقل في سنة (١٩٢٦) الى بناية ثانية قريبة منها وبزيادة الآثار التي أحرزها من الحفريات ومن شتى المصادر الأخرى على مرور الزمن أصبحت الحاجة ماسة لبناية حديثة واسعة تعرض فيها هذه الآثار الثمينة عرضاً يتلاءم وأحدث الطرق الفنية ، مما دعا الى انشاء البنايات الجديدة للمتحف ومديرية الآثار بجانب الكرخ في بغداد . وقد تم انشاؤها سنة ١٩٦٣ وافتتحت باحتفال رسمي تاريخي يوم ١٦٩٦/١١/٩ . وان البنايات الجديدة للمتحف العراقي تضم اليوم آثار الأقوام التي سكنت وادي الرافدين منذ العصور السحيقة في القدم حتى العهود الاسلامية ، بشكل مجاميع منسقة

تمثل (١) العصور الأولى (٢) السومرية (٣) البابلية (٤) الآشورية وتليها الآثار الكلدانية (٥) الحضرية والساسانية (٦) الاسلامية . (اللوحة رقم ٢)

٢ ـ متحف الآثار العربية في خان مرجان :

ان هذه البناية التي اتخذتها مديرية الآثار العامة سنة ١٩٣٧ متحفاً للآثار العربية بعد صيانتها هي من البنايات القديمة التي شيدت من قبل أمين الدين مرجان حاكم بغداد على عهد السلطان اويس الدين الايلخاني سنة ٧٦٠ للهجرة ـ ١٣٥٩ ميلادية ويضم هذا المتحف آثاراً اسلامية متفرقة ، من مدينه واسط وسامراء وتكريت ومن مواقع عربية أخرى بمختلف أشكالها وأنواعها . (اللوحة رقم ٣) .

٣ ـ متحف والقصر العباسي :

بناية قديمة من العهد العباسي يرجع تاريخها الى القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي . قامت مديرية الآثار العامة في العراق سنة ١٩٤٢ بصيانة هذا الأثر التاريخي المهم واتخذت منه متحفاً للآثار الاسلامية . ويضم هذا المتحف نماذج فريدة من الزخارف العربية والاسلامية ومجاميع ثمينة من الآثار كالفخار والزجاج والمحاليب والخشب والنقود وباقي التحف الأخرى (اللوحة رقم ٤) .

٤ ـ متحف الأسلحة :

الباب الوسطاني أحد أبواب سور مدينة بغداد القديمة ، ويرجع تاريخه الى أواخر العهد العباسي (وكان يعرف قديماً بـ « باب الظفرية ») . ولقد قامت مديرية الآثار العامة في العراق بصيانته سنة ١٩٣٩ واتخذت منه متحفاً عرضت فيه مجموعة من الأسلحة القديمة كالمدافع والبنادق والدروع وغيرها . وعرض في هذا المتحف المدفع المعروف باسم « أبو خزامة » ومدافع أخرى عثمانية من أسلحة معروفة في بعض الأقطار العربية . وقد نقلت هذه الآثار الى المتحف الحربي التابع لوزارة الدفاع وسوف يعاد العرض مجدداً في هذا المتحف (اللوحة رقم ٥) .

٥ - معارض المدرسة المستنصرية :

المدرسة المستنصرية بناية أثرية أنشأها المستنصر بالله العباسي سنة ٦٣١ هـ (١٢٣٤ م) وجعلها مدرسة لمختلف فروع العلم والمعرفة • ولقد قامت مديرية الآثار العامة فى العراق بصيانة هذا البناء التاريخي النفيس ، وأقامت فى بعض قاعاته معرضاً لتطور الخط العربي والخرائط القديمة والمصورات العربية (اللوحة رقم ٦) •

٦ - متحف عقرقوف :

جمعت مديرية الآثار العامة عام ١٩٣٤ فى احدى قاعات المعبد الكبير فى موقع عقرقوف بعض الآثار التى استخرجت من هذا الموقع الكشى الذى يرجع زمنه الى منتصف الألف الثانى قبل الميلاد • وتضم هذه القاعة بعض الخرائط التوضيحية للمدينة (اللوحة رقم ٧)

متاحف خارج بغداد

١ - متحف الموصل :

أنشىء متحف الموصل سنة (١٩٥٢) ويضم مجاميع من الآثار المكتشفة فى المنطقة الشمالية من العراق وعلى الأخص فى مدينتى نمرود والحضر وفى مدينة الموصل نفسها حتى العصور الاسلامية المتأخرة • وفى المتحف قاعة كبيرة للآثار العربية من مدينة الموصل وضواحيها •

٢ - متحف باب نركال :

باب نركال أحد أبواب سور مدينة نينوى الأثرية ولقد أعادت مديرية الآثار العامة تشييدها سنة ١٩٥٦ وفق المخطط الأصلى للباب كأنموذج لمداخل المدن الآشورية العظيمة واتخذت مديرية الآثار العامة من غرفتى البوابة متحفاً عرضت فيه نماذج لبعض الآثار الآشورية ومخططات ومجسمات مع صور ايضاحية وافية لمدينة نينوى (اللوحة رقم ٨) •

٣ ـ متحف السليمانية :

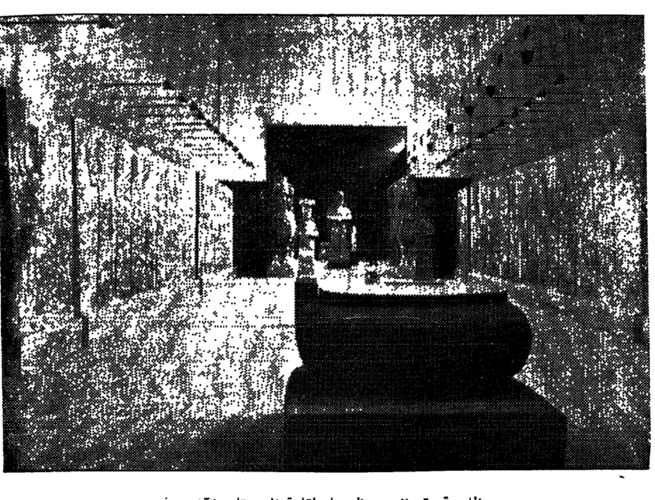
أنشىء متحف السليمانية في مركز اللواء سنة ١٩٦١ ويضم هذا المتحف مجاميع قيمة من الآثار المكتشفة فى منطقة دوكان ودربندى خان وسهل شهرزور • كما عرضت فيه نماذج ممثلة للتطور الحضارى فى وادى الرافدين •

٤ ـ متحف بابل :

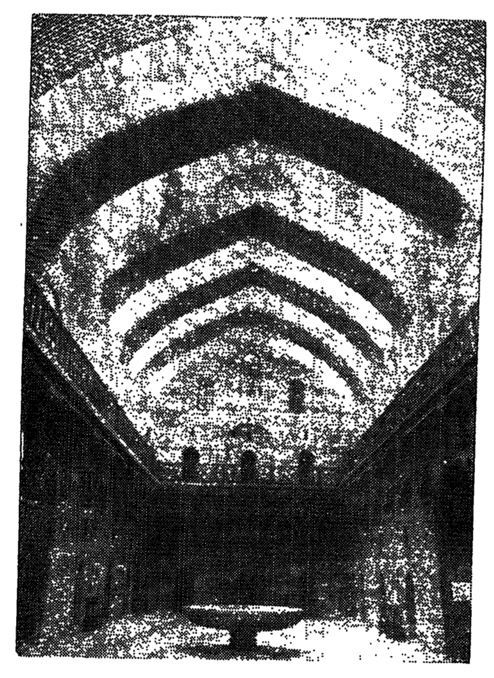
أنشىء هذا المتحف سنة (١٩٤٠) ليضم آثار المنطقة الأثرية فى بابل • وتم توسيعه مؤخراً وأضيفت اليه قاعتان احداهما تمثل التطور التاريخى فى العراق حسب التسلسل الزمنى • وعرضت فى الأخرى المجسمات والصور الايضاحية لمخطط مدينة بابل مع خارطة كبيرة مجسمة لأهم مواطن الآثار فى العراق •

٥ ـ متحف سامراء :

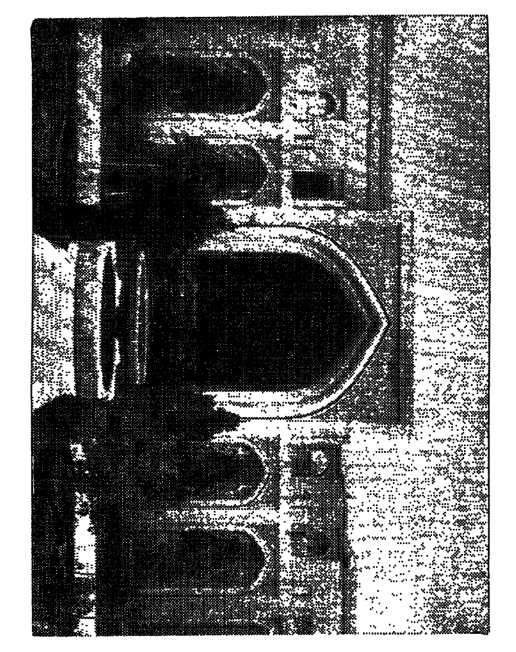
أسس متحف محلى فى سامراء سنة (١٩٤٠) ، وعرضت فيه الآثار المستخرجة من مواقع الآثار فى منطقة سامراء الاسلامية التى يرجع تاريخها الى العهد العباسى من القرن الثالث الهجرى ـ التاسع الميلادى • وعرض فى هذا المتحف بعض الخرائط والمخططات والصور التى توضح أقسام المدينة والحفريات التى جرت فيها •



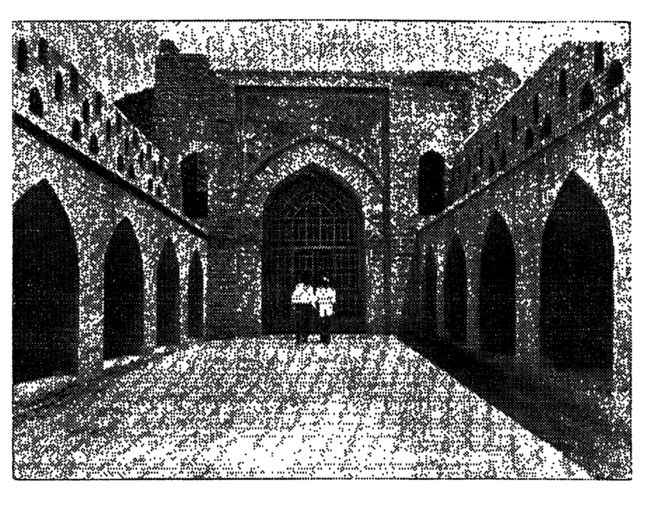
اللوحة رقم ٢ ـ منظر عام لقاعة المنحوتات الآشوريه
فى المتحف العراقى



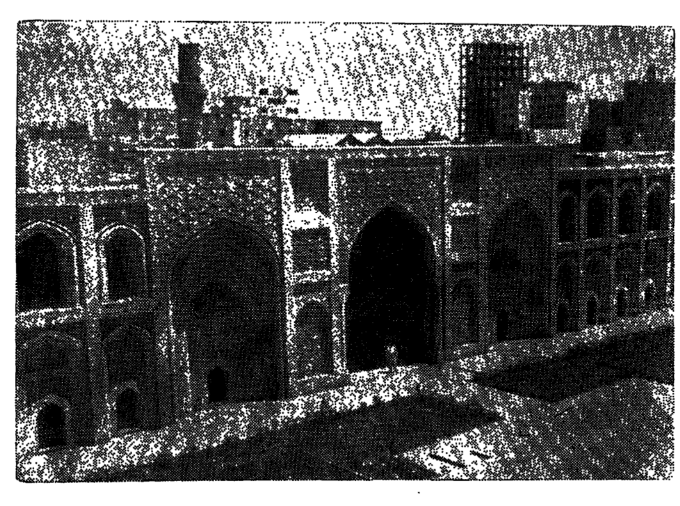
اللوحة رقم ٣ ـ منظر داخلي لخان مرجان



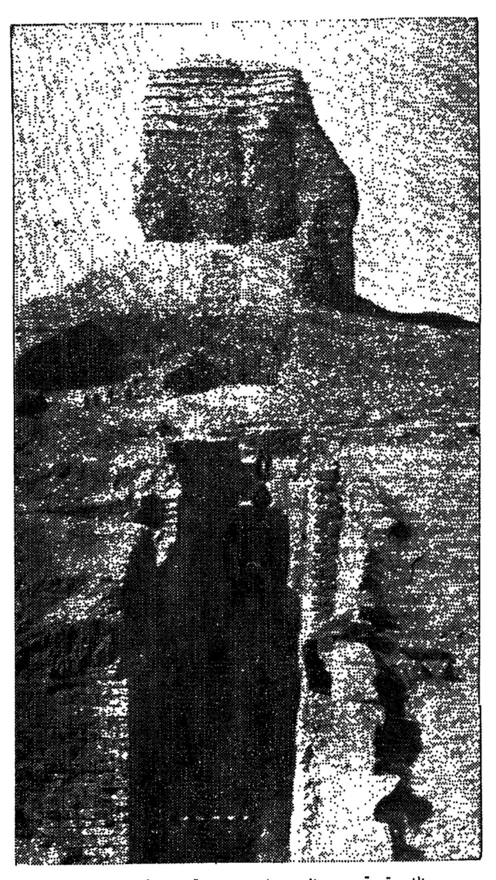
اللوحة رقم ٤ - منظر داخل للقصر العباسي ببغداد



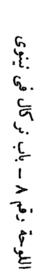
اللوحة رقم ٥ ـ منظر عام لمدخل الباب الوسطانى



اللوحة رقم ٦ ـ منظر داخلى للمدرسة المستنصرية ببغداد



اللوحة رقم ٧ ـ البرج المدرج (الزقورة) في عقرقوف



اللوحة رقم ٨ – باب نركال في نينوى

أور (*)

تعد أور من أشهر المدن الأثرية في جنوبي العراق وكانت مركزاً للسومريين وعاصمة لثلاث سلالات سومرية ،وتقع أور على بعد (٣٦٥ كم) جنوب شرقي بغداد وعلى مسافة (١٥ كم) جنوب غربي مدينة الناصرية وتجاور محطة القطار المعروفة بـ (مفرق أور) ، وكانت تقع على نهر الفرات أو على فرع رئيسي منه ، الا انها اليوم تبعد (١٥ كم) عن مجراه الحالي .

ومدينة أور تأتي بعد مدينة بابل في شهرتها العالمية ، لكنها بخلاف بابل اذ ما زال كثير من معالمها القديمة شاخصاً ماثلا للعيان كما يتضح للزائر من مخططها البيضوي الشكل الذي يتسع من الشمال الغربي ويضيق كلما اتجهنا نحو الجنوب الشرقي ، ويحيط بها سور غير منتظم في بعض الأماكن (اللوحة رقم ٩) .

وفي وسط المدينة حي المعابد مستطيل الشكل ويتضمن المعالم الآتية : الزقورة ، معبد نن ــ كال ، معبد دب لاماخ ، معبد نن ــ ماخ ، معبد تنار ؛ المقبرة الملكية قبر اورنمو ، قبر شولكي . وهناك معالم أثرية أخرى أهمها بيوت السكنى من عهد ايسن ــ لارسا وقصر من زمن الملك الكلداني نبونائيد ، ومعبد صغير من عهد نبوخذ نصر ومعبد انكي . وتمكن السير «وولي» أثناء تنقيبه في هذه المدينة من تعيين البوابة الشمالية والغربية لها .

ازدادت شهرة أور بعد التنقيبات التي أجراها جماعة من المنقبين أمثال تايلر ولوفتس بعد الحرب العالمية عام ١٩١٩ . الا أن التنقيب المنتظم بدأ به وولي المبعوث من قبل المتحف البريطاني عام (١٩٢٢) واستمر الى (١٩٣٤) اذ حفر اثني عشر موسماً . ومن الممكن تلخيص الأماكن التي تناولها .

الزقــــورة :

وهو بناء مستطيل الشكل مشيد من اللبن ومحاط بجدار من الطابوق ، وقد تعرض هذا البناء للترميم والتغيير بعد بنائه في فترات مختلفة ، فأول من

(*) بقلم الأستاذة راجحة خضر النعيمي ــ مرشدة الآثار .

قام بترميمه الملك الكشى (كوريكالزو) ١٥٠٠ - ١٣٠٠ ق.م. وكذلك فى عهد الملك الكلدانى نبونائيد الذى جعله من سبع طبقات بعد أن كان فى البداية من ثلاث طبقات .

وفى السنوات الأخيرة شرعت مديرية الآثار العامة بصيانة مبانى أور فعملت على تقوية أوجه الزقورة واعادة بناء سلالمها الثلاثة وفى أثناء العمل عثر على أسطوانة مكتوبة بالخط المسمارى تعود الى نبونائيد الذى يذكر أن الملك أورنمو الذى حكم قبله شيد هذا البناء لاله القمر (سن) رئيس آلهة أور ولكنه لم يكمله (اللوحتين ١٠ ، ١١) .

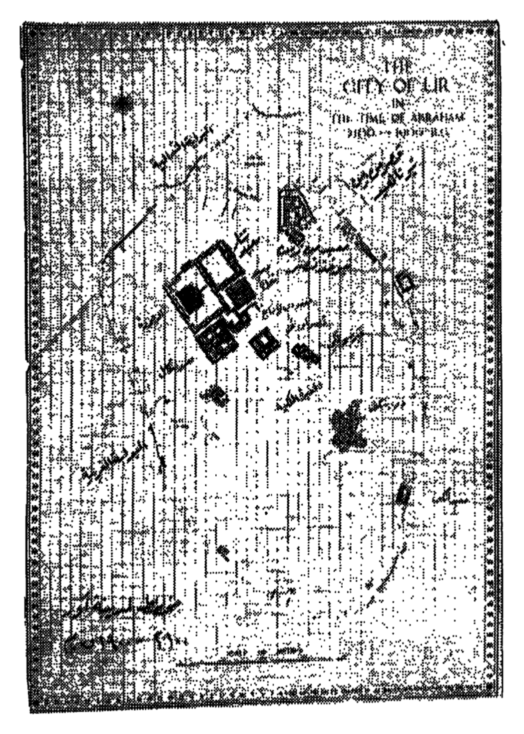
مدفن ملوك سلالة أور الثالثة :

مشيد بالآجر المختوم بأسماء ملوك تلك السلالة ويتكون من طابقين الأسفل محل الدفن بهيئة سراديب كل منها لملك من الملوك ومن هؤلاء شولكى ، وأمارسن . والطابق الأعلى كان معبداً لتقديم القرابين والصلاة . وقد نهب العيلاميون هذه القبور عندما قضوا على سلالة أور الثالثة .

القبور الملكية من عصر فجر السلالات :

وكل قبر عبارة عن غرفة مشيدة بالحجر أو الآجر أو اللبن فى قعر حفرة كبيرة . وقد وضعت جثة الميت داخل الغرفة الصغيرة ودفنت معه حاجياته فى قعر الحفرة ثم أعيد التراب وسوى سطح الأرض بحيث لم يبق معالم لأماكن الدفن . ومن هذه الحفائر مدفن الأمير (مس - كلام - دوك) والأميرة (شبآذ) وأكثر اللقى والتحف النفيسة وجدت فى هذه الحفائر والتى تزين قاعات المتحف العراقى ، البريطانى ، ومتحف جامعة بنسلفانيا .

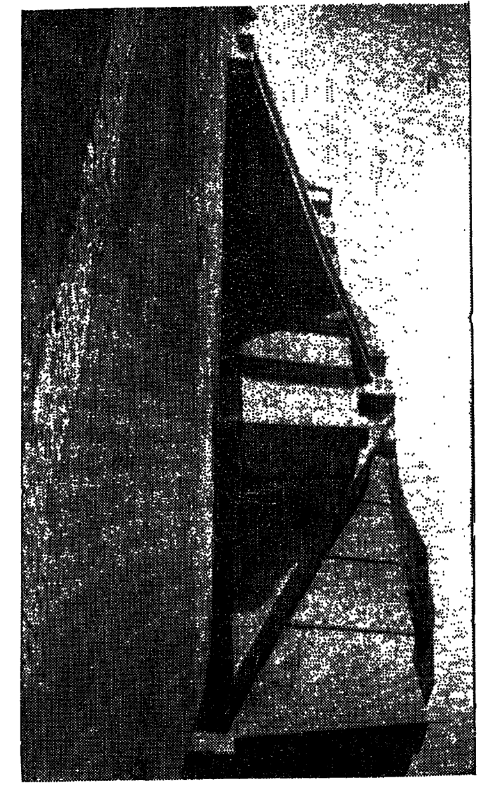
ومن أهم هذه الآثار القيثارة الذهبية ، وأوانى حجرية مختلفة الأشكال بعضها مطعم بالصدف وأوانى ذهبية وفضية ، كما عثر على مركبة ملكية مصنوعة من الذهب واللازورد والصدف ، وحلى نسائية من الذهب والأحجار الكريمة كما عثر على لوحة للعب (الطاولة أو ما تعرف بالدومنة) منزلة تنزيلا بديعاً من الصدف واللازورد ووجد طاقمان من النرد الذى كان يستعمل فى هذه اللعبة ، كما وجدت الخوذة الذهبية التى تعود للأمير (مس - كلام - دوك)



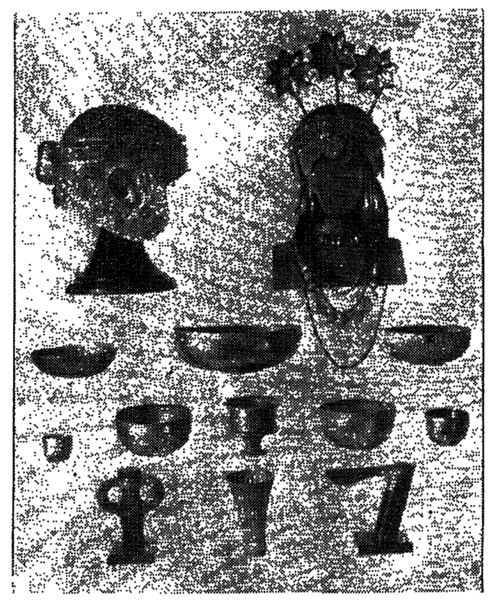
اللوحة رقم ٩ ـ مخطط لمدينة أور (٢١٠٠ ـ ١٩٠٠ ق.م)



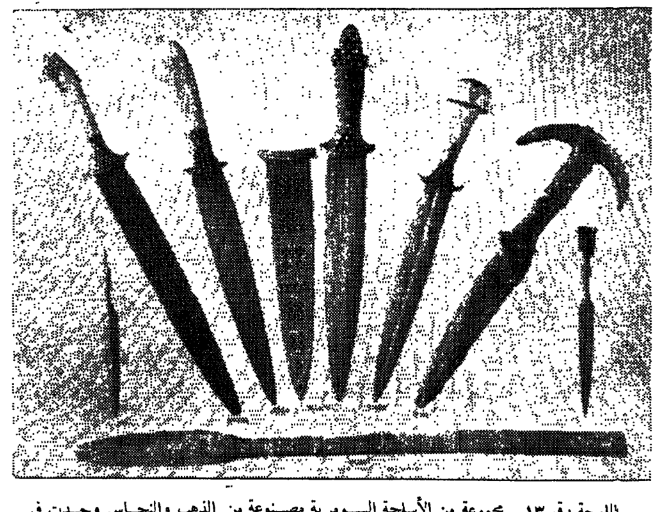
اللوحة رقم ١٠ — منظر عام لزقورة أور (قبل الصيانة) وقد شيدت في نحو ٢٠٥٠ ق.م.



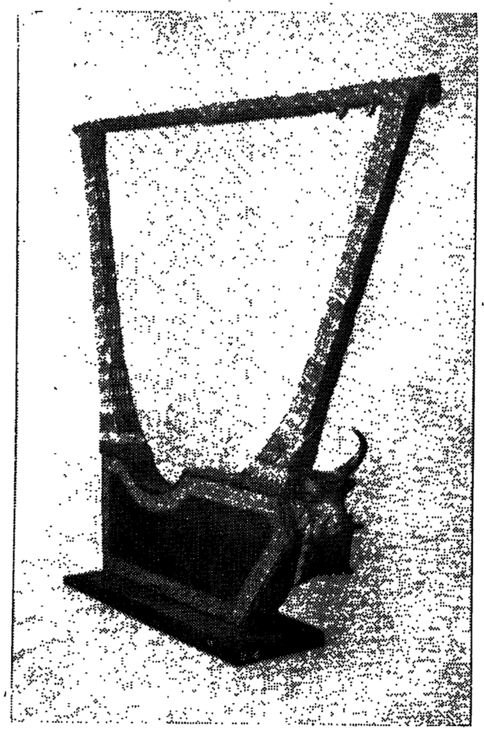
اللوحة رقم ١١ – زقورة أور (بعد الصيانة) .



اللوحة رقم ١٢ - صورة للحلى النسائية وخوذة ذهبيـة ومجموعة من الأوانى الذهبية والفضـية وجدت فى المقبرة الملكية فى أور ، تعود الى ٢٥٠٠ ق.م.



اللوحة رقم ١٣ - مجموعة من الأسلحة السومرية مصنوعة من الذهب والنحاس وجدت فى المقبرة الملكية فى أور ، تعود الى ٢٥٠٠ ق.م.



اللوحة رقم ١٤ ــ آلة موسيقية وترية فى مقدمة صندوقها الصوتى
رأس ثور من الذهب ، وجدت في المقبرة الملكية في أور .

وعلى الحلى التى تعود الى الأميرة شبآذ وخاصة لباس الرأس وأدوات الزينة كما عثر على مجموعة من الخناجر الذهبية والنحاسية ومن أهم اللقى كانت رقما طينية ساعدتنا على معرفة تاريخ أور • (اللوحات ١٢ ، ١٣ ، ١٤) .

دور سكن من عصر ايسن ــ لارسا :

ما زالت جدرانها قائمة وبينها شوارع ضيقة تلتقى فى ساحات صغيرة • وقد وجد وولى رقيماً طينياً فى أحد هذه الشوارع ورد فيه اسم آب ــ رام فسمى الشارع باسم ابراهيم وقصد بهذا أن ابراهيم الخليل الذى يقال عنه أن أصله كان فى أور نشأ فى هذا الحى من عصر ايسن لارسا ٢٠٠٠ ق•م ولابد لنا أن نذكر بأن هذه المدينة مع ما جرى فيها من التنقيب فهى ما زالت غنية بالآثار وان التنقيب فيها فى المستقبل سيحل مشاكل كثيرة مجهولة عن تاريخ السومريين وحضارتهم لأن ما كشفه وولى هو جزء صغير من الطبقة السطحية للمدينة •

آشور *

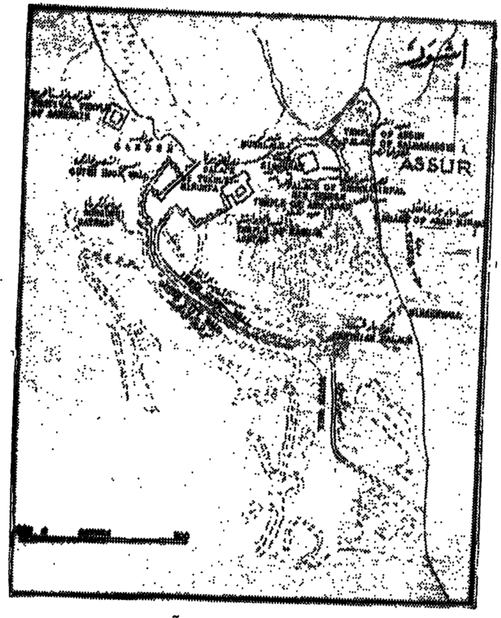
وتعرف اليوم بقلعة الشرقاط وتقع على الجانب الغربى من دجلة بين مصبى الزاب الكبير والزاب الصغير . وهى أول العواصم الآشورية .

وقد أظهرت التنقيبات الأثرية التى قام بها الألمان بين سنة ١٩٠٣ و١٩١٤ أن المدينة كانت مسكونة منذ أقدم العصور وقد تأثرت بحضارة بلاد وادى الرافدين الجنوبية ، وسيطر عليها الملك حمورابى ملك بابل ثم خضعت للحكم الكاشى والميتانى ، ولم يظهر الآشوريون على مسرح الحوادث حتى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، فصارت آشور عاصمة الامبراطورية. وان خرائب المدينة التى نراها اليوم تعود معظمها الى الملكين تكلتى ننورتا الأول وتيجلا تبيلازر .

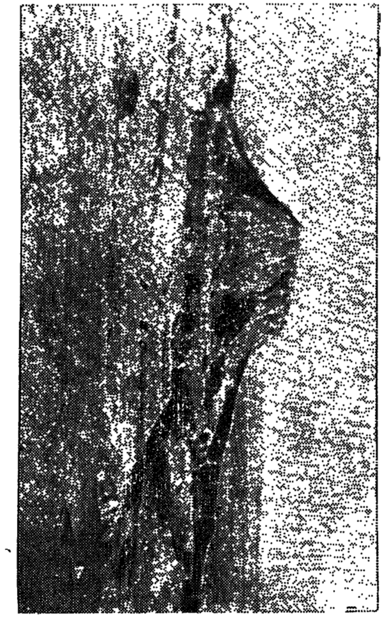
وتشاهد خرائب زقورة الاله آشور مع المعبد المتصل بها فى الزاوية الشمالية الشرقية من المدينة . وفى هذه المنطقة من المدينة يوجد كذلك القصر القديم والمعبد المزدوج للالهين آنو وادد (السماء والجو) مشفوعان بزقورتين صغيرتين ، وقربهما يقع المعبد المزدوج للالهين سن وشمس (الشمس والقمر) ، وقصر الملك تكلتى ننورتا الأول (القرن الثالث عشر قبل الميلاد) .

وفى الجهة الغربية من المدينة يوجد معبد الالهة عشتار ، وقد كشفت فى طبقات المعبد الأسفل عن آثار تعود الى عصور فجر السلالات السومرية وبجانبه معبد الاله « نابو » اله الكتابة . وللمدينة أبواب كثيرة أهمها باب يقع فى الجهة الغربية وأشهر هذه الأبواب هو باب « تابارا » أى « باب صانعى المعادن » . أما فى الفسحة المثلثة الشكل الموجودة بين الجدار الداخلى للمدينة والجدار الخارجى فقد نصبت التماثيل والمسلات التاريخية للملوك الآشوريين من عهد ادد نيرارى الأول الى آشور بانيبال الثانى . وتعود احدى المسلات الى الملكة سميراميس ، وهناك صف آخر من المسلات تعود الى عديد من حكام الولايات. فأصبحت هذه الفسحة وكأنها سجل لتاريخ الآشوريين وأعمال ملوكهم من القرن الرابع عشر قبل الميلاد حتى سقوط الامبراطورية .

(*) بقلم الأستاذة لمياء الكيلانى — ملحقة الآثار .



اللوحة رقم ١٥ ـ مخطط آشور



اللوحة رقم ١٦ ـ منظر عام لبقايا البرج المدرج (الزقورة) الكبير في آشور .

ولم يقتصر تكلتى ننورتا الأول على تعمير آشور فحسب ، بل بنى له مدينة أخرى تخليداً لذكرى انتصاره على بابل ، مقابل مدينة آشور على الجانب الثانى للنهر ، وأطلق عليها اسم كارتكلتى ننورتا وله فيها قصر وزقورة .

وقد جدد وأعيد بناء أكثر البنايات العامة والمعابد فى عهد الملك شلمنصر الثالث (القرن الثامن قبل الميلاد) . وقد ورد فى الكتابات المسمارية أن الملك استعمل ستة ملايين طابوقة لتجديد زقورة الاله آشور .

ولم تبق آشــور العاصــمة الوحيدة للامبراطورية فقـد تحولت فى عصر آشور بانيبال الأول الى نينوى ، وعاش بعض ملوك الآشــوريين فى (كالح) نمرود الحالية وخرسباد ولكن مدينة آشور بقت المدينة المقدسة عند الآشوريين حتى سقوطهم .

ولو أن آشور فقدت كثيراً من سلطتها وعظمتها فانها سكنت حتى العصور الفرثية وقـد أسـفرت التنقيبات عن قصر فرثى كبير فى الفســحة بين الجدار الآشورى والفرثى . (اللوحتان ١٥ ، ١٦) .

نينـــوى *

نينوى ، هى العاصمة الآشورية الثانية بعد آشور ، تنتشر خرائبها اليوم فوق الضفة الشرقية من دجلة قبل مدينة الموصل بشمال العراق ، وقـد لعبت هذه المدينة دوراً هاما فى التاريخ الحضارى والعسكرى . (اللوحة رقم ١٧) .

كانت نينوى مستوطناً قديماً منذ ستة آلاف سنة قبل الميلاد وصارت بعد ذلك مركزاً حضارياً عظيماً لمختلف الفنون والمعرفة فى الشرق القديم . وقـد هدى البحث الأثرى الى كثير من معالمهـا التاريخية والفنيـة فكشف لنـا عن بقايا نوع من الفخار عرف باسمها وينسب اليهـا ذلكم هو فخـار نينوى حيث عثر عليه فى الطبقة الخامسة من طبقات سكناها وعن مجاميع من الفخـار الملون والمحزز بنقوش مفرعة غائرة بعض الشىء تعود الى حوالى ٣٠٠٠ سـنة قبـل الميلاد . كما كشفت عن أدوات وآلات من حجر الصـوان والنحاس تدل على أن السكنى ظلت مستمرة فى العهود القديمة حتى ظهـور السومريين والاكديين أما اسمها فقد ذكر فى الكتابات المسمارية المدونة على الطين التى يرقى زمنهـا الى عصر سـلالة أور الثالثة ، وكذلك الكتابات المسـمارية المكتشـفة فى بلاد الأناضـول ــ موقع « كول تبة » المعروف قديمـاً باسم « كيدوكيا » (كناش) وتذكر هذه الكتابات أسـماء بعض ملوك الآشـوريين الذين حكموا فى بداية الألف الثانى قبل الميلاد وكان على رأس هذا الحكم « بوزراشور » و « شمشى ادد الأول » مؤسس الدولة الآشورية ، وقد اشتهر هذا الملك بتشييده معبدا للآلهة عشتار فى نينوى .

ازدهرت نينوى وتوســعت عمائرها شـيئاً فشـيئاً على أيدى الملـوك الآشوريين الذين تناوبوا الحكم فيها فأصبحت مركزاً حضـارياً كبـيراً ، ثم تناولتها أحداث الحياة واحدة بعد الأخرى فسقطت وتحولت عمائرها من قصور ومعابد وأسوار الى خرائب لا حياة فيهـا وفى القرن المـاضى والعصر الحـديث هدى البحث الأثرى فى بعض خرائبها الى معرفة الكثـير من معالمهـا وأبنيتها ،

(*) بقلم الدكتور طارق مظلوم ــ مدير الأبحاث الآشورية .

فعرف أن التل الكبير الذى يترسم داخل أسوارها المعروف حديثاً باسم « قوينجق » يبطن فى داخله معابد وقصور مزينة بالمنحوتات من تلك التى بناها الآشوريين ، ولا شك أن قوينجق هو مركز نينوى الرئيسى • وكذلك خرائب التل الواقع الى الجهة الجنوبية من قوينجق المعروف حديثاً بتل « التوبة » أو تل « النبى يونس » (صاحب الحوت المعروف) يبطن فى داخله وتحت مسجد هذا النبى بعض القصور والمعابد الآشورية التى يرتقى زمنها الى الأدوار الأخيرة من تاريخ الدولة الآشورية •

وكلا التلين والتلال الأخرى محوطة جميعها من الخارج بسور عظيم للدفاع يحيط به خندق عظيم • وهنالك فى الجهة الشرقية من المدينة سور خارجى يتألف من حاجز ترابى ما زال شاخصا الى اليوم يليه خندق هائل يمتد من الشمال الى الجنوب يعرف اليوم بوادى الدمل ماجه والسور مشيد باللبن السميك ، أسسه من الحجارة ، يبلغ محيطه حوالى اثنى عشر كيلومتراً تقريباً ويتفاوت عرضه بالنسبة لبعض المناطق التى يحيط بها فيبلغ أحياناً حوالى ٥٥ متراً •

ولهذا السور الذى يبلغ طوله فى هذه الجبهة حوالى ٥ كيلومترات أبواب كثيرة ترتسم على كل جهة من جهات المدينة تقريباً • وقد حدد الملك سنحاريب الذى حكم ما بين ٧٠٥ — ٦٨١ قبل الميلاد أسماء ومواقع هذه الأبواب ، فالقسم الشرقى من السور يضم ستة أبواب أولاها « باب هيلزى » ويعد هذا من أبواب المدينة الكبرى فى هذا الجانب يوصله جسر حجرى للعبور وما زالت بعض آثاره باقية الى الآن وقد حاولنا استظهارها بالأخص الجدران الشرقية لها والمشيدة بالحجارة كما رسمنا لها مخططات كونتورية تثبيتاً لمعالمها •

وثانيهما « باب شمش » ويعد من أكبر أبواب نينوى ، تنسب الى الاله الآشورى شمش وقد حاولنا أيضاً ايضاح معالمها الكثيرة خلال سنتى ٦٥/٦٦ كما سنوضح ذلك بعد قليل والباب الثالث باب (تنليل) وتنسب الى الاله تنليل أحد آلهة الدولة الآشورية الرئيسية •

أما الباب الرابع ، فهـو باب « خلاخى » وهو الأخير فى هـذا الجانب من السور •

أما السور الشمالى الذى يبلغ طوله كيلومترين فيضم ثلاثة أبواب ابتداء من الجهـة الشرقيـة : ١ - باب ادد ٢ - باب نركال ٣ - باب سن ولقـد حاولت مديريتنا صيانة باب نركال المكتشفة عام ١٩٣٦ وأعادت بعض أجزائها الى ما كانت عليه وحاولت كذلك اعادة الثورين المجنحين المكتشفين فى مدخل هذا الباب وجعلت منه متحفاً لمدينة نينوى •

الأعمال .

أما باب « سن » فقد تمكنا من اظهار أجزاء مهمة منه تمهيداً لصيانتها وقد كشف عن جزء من هذا الباب كسلم يرقى الى أسوار المدينة •

أما السور الغربى فطوله حوالى ٤ كيلومترات و١٠٠ متر وهو يضم خمسة أبواب ابتداء من الشمال الى الجنوب وهى :

باب « السقاة » و « باب المسناة » و « باب الصحراء » و « باب السلاح » و « باب خندورى » وما زالت جميعها خاضعة للكشف الأثرى •

وأما الضلع الجنوبى من سور نينوى العظيم فطوله ٨٠٠ متر ويضم باب واحـد هو باب « آشور » عرفت بهذا الاسم نسبة لموقعهـا باتجـاه العاصـمة الآشورية آشور المعروفة حديثاً بقلعة « الشرقاط » أو باسم الاله آشور •

هذا ويشطر مدينة نينوى نهر صغير يعرف بنهر الخوصر أو نهر خوزور، وما زال دائم الجريان الى الآن ويصب فى نهر دجلة •

بعد هذا العرض الموجز لخرائب مدينـة نينوى ومواضـعها وأسـوارها وأبوابها ننتقل الآن الى ذكر أعمال الحفر والصيانة المنجزة خلال عامى ٦٥-٦٧ كان السبب الرئيسى لأعمـال الحفـر والصـيانة فى خرائب نينوى التاريخيـة هو طغيان المبانى الحديثة لمدينة الموصـل وزحفها وتوسـعها الى أراضى المنطقـة

الأثرية وهى مشكلة كبيرة ستسبب لنا ضياع أكبر عاصمة فى تاريخ الحضارة الانسانية ويبدو أن مصيبة التوسع العمرانى وطغيانه على المواقع الأثرية ـ ليس فى العراق فحسب بل فى العالم العربى أيضاً ـ مشكلة لا بد من حلها ، فلذلك حاولت مديريتنا جهد الطاقة حماية نينوى من هذا الطغيان العمرانى • فباشرت أعمال الحفر والصيانة الأثرية فى بعض مواضعها المهمة فرصدت لها المبالغ اللازمة وباشرنا فى العمل منذ سنة ١٩٦٥ وحتى الآن وفيما يلى وصف موجز لسير العمل :

١ — باب شمش :

وهى من أبواب نينوى الكبرى فى السور الشرقى للمدينة وأكثرها ارتفاعاً وتقع على الطريق الذى يربط مدينة الموصل بلواء أربيل •

تتألف بقايا هذه البوابة من مرتفعين أحدهما بقاعدة على هيئة مصطبة مشيدة بالحجر ، أمامها جسر منحوت فى الأرض الصخرية ، له ثلاثة أنفاق لعبور الماء الى الجهة الثانية من الخندق • ولا زالت بعض أماكنها ماثلة حتى الآن وقد تمكنت الهيئة المعنية هناك من تحديد مرافق هذه البوابة بخرائط ومخططات تمهيداً لصيانتها والحفر فيها وقد تم ذلك فى مطلع عام ١٩٦٥ • فظهر أنها تتكون من جبهة خارجية وذلك من جهتها الشرقية مشيدة بحجر الحلان طولها ٦٦ متراً يتوسطها مدخل بعرض ٤٫٥٥ م وترتفع على كل جانب من جوانب المدخل ثلاثة أبراج مشيدة بالتناظر والتساوى حيث وجد أو عرض كل منها ٣٫٥ م •

١ — باب شمش :

ويعلو هذه الجبهة أربعة أبراج كما يعلو المدخل قوس أو عقد بيضى الشكل ، مشيد بالحجارة ، وتدل القراءة على أن سنحاريب بن سرجون الثانى هو الذى جدد بناء السور وبعض أبوابه ومواقعه الدفاعية ومن بينها باب شمش •

أما الواجهة الغربية لباب شمش فقد تبين أنها مشيدة باللبن عليها كسوة من ألواح الحجر يزيد ارتفاع كل حجر بما يقرب من متر ونصف تقريباً •

والمدخل الغربى للبوابة يتصل بالمدخل الشرقى بممر طوله ٦١ متراً مرصوف بألواح من الرخام فى كل جانب من جوانبه ثلاث غرف كبيرة تم الكشف عن غرفة واحدة منها •

بعد عملية الحفر والتنقيب فى هذا الجانب حاولت الهيئة المنقبة صيانة باب شمش وأجزاء من السور المصاحب لها وتمكنت من اعادة الأحجار المتساقطة الى مكانها الأصلى وبناء الجدران والمصطبة والأبراج مستخدمين فى ذلك نفس المواد القديمة •

٢ — تل قوينجق :

بدأ التنقيب فى هذا الموضع سنة ١٩٦٦ وتم الكشف عن قاعة للملك الأشورى سنحاريب وبعض المرافق التى تعود اليها ولقد خضع هذا الموضع فى القرن الماضى الى الحفر والنبش فاستخرج منه هنرى ليرد عام ١٨٥١ م ألواحا حجرية منحوتة بتصاوير ونقوش وكتابات يزيد طولها على ما يقارب الميل الواحد ، نقلها جميعا الى المتحف البريطانى ، وكذلك هرمزد سام الذى تابع حفريات ليرد فاكتشف ما يقارب من عشرين ألف رقيم طينى أغلبها فى الأدب والمعرفة تسربت جميعها الى خارج العراق أيضا وكذلك حاول جورج سمث من المتحف البريطانى أيضا استخراج أعداد أخرى من هذه الرقم وتعاقب غيره من المتحف المذكور للحفر فى قوينجق آخرها كان برئاسة كامبل طومسن ، وقد تركزت أعماله فى وسط هذا التل •

ان المداخل المؤدية الى هذه القاعة مزينة بثوران مجنحان كما أن جدرانها مكسوة بألواح منحوتة من الحجر عليها رسوم ومشاهد كثيرة من الحياة الأشورية وكذلك كتابات مسمارية تشير بعض نصوصها الى اسم الملك سنحاريب • وهدى الكشف الأثرى كذلك لصق قاعة العرش الى العثور على غرفة صغيرة يدل تخطيطها وبنائها على أنها كانت حماما للملك •

لعل أجمل ما عثر عليه من المنحوتات البارزة هو ما عثر عليه فى القاعة الملاصقة لقاعة العرش حيث يبلغ طولها ٤٧ متر وعرضها ٧٫٥ متر وعثر

فى هذه القاعة على مـا يقارب من أربعين لوحا كاملا عرض كل منهـا متران وارتفاعه ثلاثة أمتار ، تمثل مواضيع هذه المنحوتات معـارك دارت بين الجيش الأشورى وسكان الجبال ويشاهد كذلك حصـــار لعدة مدن وكتائب من فرق الخيالة وحاملى الرماح والأقواس والمقاليع وعربات حربية • وفى احدى الألواح التى عثر عليها فى قاعة العرش مشهدا لقلعة فى أحد أبراجها رجل يحمل راية وهو يودع الجيش الأشورى وهو متجه الى ساحة الحرب (اللوحة رقم ١٨)•

وفى الوقت الحاضر يقوم المختصون بعمل سقف كبير لهـــذه الغرف كى يجعل منها متحفا محليا يزار فى الموقع نفسه •



اللوحة رقم ١٧ ـ مخطط مدينة نينوى



اللوحة رقم ١٨ ـ لوحة حجرية منحوتة تمثل ملكا آشوريا
يصطاد الحيوانات من عربته ، وجد فى نينوى

نمرود (*)

هى البقية الباقية للعاصمة الآشورية كالح وتقع على مسافة ٤٠ كم جنوب شرق الموصل فوق الضفة اليسرى لدجلة . وهى عبـــارة عن تل واسع فيه بقايا من عصور ما قبل التاريخ ، أنشأ عليها آشور ناصر بال الثانى عاصـــمة له فى النصف الأول من القرن التاسع ق.م وانتقل اليها من مدينة آشور وأحاطها بسور يضم أراضى منبسطة ومنخفضة كثيرة . (اللوحة رقم ١٩)

أما المرتفع المذكور فقد أنشأ عليه قصره ومعبـــدا للاله نن أورتا وبدأ بتشييد الزقورة التى أتم بنائها من بعده ابنه شلمنصر الثـــالث وشيد من بعـــد آشور ناصر بال الثانى الملوى الأشوريون معابدهم وقصورهم ، فيعرف على هذا التل قصر لتغلات بلاصر الثالث وقصر آخـر لاسرحـدون وآخر لا يعرف نسبته لأى ملك وسماه المنقبون بالقصر المحروق ، كما يقع على التل معبد للاله نابو ، وظلت نمـرود عاصـــــمة الأشـــــوريين الى سـقوط امبراطوريتهم سنة ٦١٢ ق.م .

ان أول من نقب فى نمرود هو ليارد الانكليزى فى ســـنة ١٨٤٦ ، فركز أعماله فى قصر آشور ناصربال الثانى الذى سماه بالقصر الشمالى الغربى وحفر فى مرافقه وعثر على مجموعة من المنحوتات الآشورية أما التنقيب المنتظم فقد تم تحت اشراف مديرية الآثار العامة فى سنة (١٩٤٩) بادارة الأســـتاذ ملوان المبعوث من قبل المؤسسة البريطانيـــة للدراســـات الأثرية فى العراق فتناول الأماكن الآتية :

١ــ نقب فى القصور الملكية والمعابد الأشورية ودور السكنى حيث تشاهد الزقورة فى الزاوية الشمالية الغربية وهى تعتبر أعلى بناء فى المدينة وبجانبهـــا يقع معبد نن أورتا وكان يعتبر من أهم المعابد الى بداية القرن التـــاسع ق.م حيث فقد أهميته وانتقلت الى الاله نابو ، ويقع معبده فى الناحيـــة الجنوبيـــة

(*) بقلم الآنسة سلمى الراضى ــ مرشدة آثار .

الشرقية من التل ، اذ وجدت فيه مجموعة كبيرة من الرقم الطينيـة واللوحات العاجية • وقد رمم هذا المعبد فى فترات مختلفة فسرجون الثانى قام باصـلاحه وأسرحدون وآشور اتل ابلانى الى أن سقطت المدينـــة فى سنة ٦١٢ ق•م •

٢ ـ القصر المحروق الذى يفصل عن معبد نابو بشـــارع وينسب على الأكثر الى سرجون الثانى اذ بنى على أسس قديمة من القرن الثالث عشر ق•م ووجدت فيه عاجيات كثيرة محروقة • ودمر وحرق أثناء سقوط المدينة •

٣ ـ القصر الشمالى الغربى لآشور ناصر بال الثـــانى ، تبلغ مساحته ٢٠٠ × ١٣٠ م ويحتوى على ثلاثة أجنحـــــة ، القسم الادارى الشـــمالى ، والأوسط للتشريفات الملكية ، والجنوبى للحريم ، ففى القسم الأوسط الذى يحتوى على قاعة العـرش التى عثر فيهـــا على قاعدة العرش المكتوبة من زمن آشور ناصر بال الثانى وفيها مدخلان وعلى جانبى كل باب ثوران مجنحـــان ، وبالقرب منها وجدت مسلة دون عليها تفاصيل حفلة افتتاح القصر ودعى فيهـــا (٦٥ر٥٧٤) شخصا واستضافتهم لمدة عشرة أيام أما جناح الحريم فعثر على مجموعة من الحلى النسائية ، وفى البئر عثروا على القطعة العاجيـــة المعروفة (موناليزا) وعلى قطعتين تمثلان لبؤة تفترس رجلا زنجيا ومطعمة باللازورد والعقيـق الأحمـر وأوراق الذهب • وفى القســم الادارى عثروا على غرف الكتاب ومخازن الحبوب ووجدوا فيها مجموعة من الرقم الطينية• (اللوحةرقم٢٠)

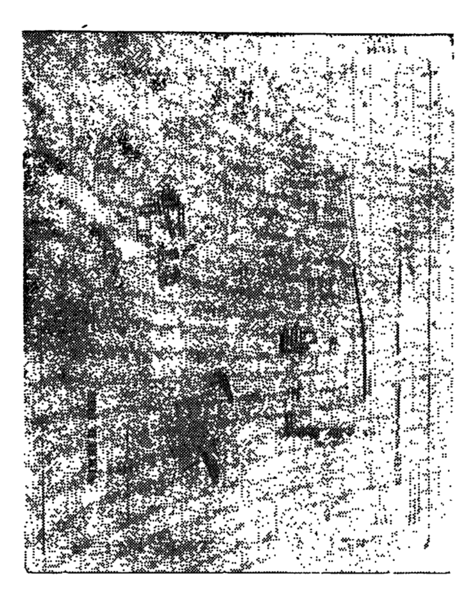
أما المساحة التى تحيط بالتل الأثرى الآنف الذكر فقـــد كانت حدائق وبساتين ومزارع وأن آشور بانيبال بنى حديقـة للحيوانات فى تلك المنطقـة وجلب لها مختلف الحيوانات من أنحاء الامبراطورية •

وعندما ازدحمت المدينة بالسكان فى القرن الثامن فكر شلمنصر الثـــالث فى بناء قلعة ثانية فى الجنوب الشرقى من المدينة خارج السور الداخلى أى ما بين السورين وتعتبر قلعة حربية لوجود الثكنات العسكرية ، وبنى فيهـــا القصور الملكية ، اذ عثر المنقبون على قاعة العرش ووجدوا فيها قاعدة العرش عليهـــا كتابة من السنة الخامسة عشرة من حكم شلمنصر الثالث (٨٥٨ ـ ٨٢٤ ق•م)

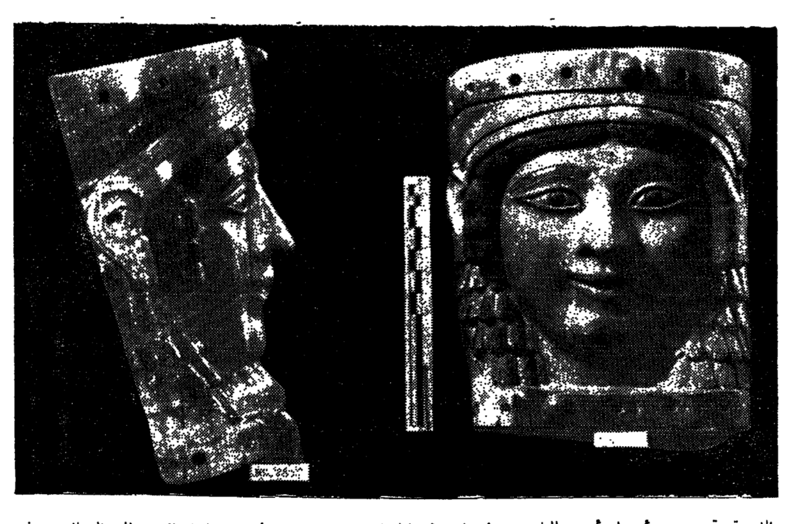
وجدران غرفة العرش مزينة بالتصـــاوير كما عثروا على مجموعة كبيرة من العاجيات فى غرف المخازن وكان أكثرها من القرن الثامن • (اللوحة رقم ٢١)

وبسقوط الامبراطورية الأشورية سقطت مدينـة نمرود بأيدى الميديين والبابليين سنة ٦١٢ ق•م اذ أحرقوا المدينة ودمروها وسلبوا قصورها • وبعـد ذلك حاول أقلية من الناس سكناها الى سنة ٤٠١ ق•م وعندما مر بهـا زينفون كانت مدينة شبه مهجورة بعد أن كانت عامرة بالسكان وعاصمة لامبراطورية عظيمـــة •

* * *



اللوحة رقم ١٩ ـ مخطط مدينة نمرود



اللوحة رقم ٢٠ ـ رأس امرأة من العاج معروف باسم (مونا ليزا نمرود) عثر عليه فى بئر داخل القصر الشمالى الغربى فى نمرود ، ولعله صنع فى زمن سرجون الآشورى ٧٢١ ـ ٧٠٥ ق.م.



اللوحة رقم ٢١ ـ لوح من العاج يمثل محاربا بملابس الاحتفال ماسكا بيديه
أغصان زهر الأقحوان ـ عثر عليه فى حصن شـلمنصر فى مدينة نمرود .

خرسباد (*)

خرسباد عاصمة الملك الآشورى سرجون الثانى (٧٢١ – ٧٠٥ ق٠م٠)٠ وتعرف أيضاً بـ « دور شروكين » أى مدينة سرجون ، ونقع أطلالها الأثرية بالقرب من منبع الخوصر على نحو عشرين كيلومتراً شمال الموصل وكان فى موقع هذه المدينة قبل انشائها قرية صغيرة اسمها « مكاتبا » ولا تعرف بالضبط الأسباب والدوافع لتشييدها سوى أن سرجون أراد أن يخلد اسمه فيترك للخلف أعمالا عمرانية واسعة تنطق بعظمته وسلطانه جنباً لجنب مع أعماله العسكرية والسياسية المجيدة ٠

توفى سرجون قبل أن يتم تشييد مدينته ، فقد وجد بالتنقيب فى خرسباد أن أحدأبواب المدينة غفل من المنحوتات سيما الثيران المجنحة بخلاف غيره من الأبواب ٠ ووجد أيضاً أن أحد المعابد فى السراى الملكى غير كامل البناء وان احدى الغرف التى كان يشتغل فيها النحات تحوى ألواحاً من المرمر فيها صور مجسمة لم يتم صنعها ، الا أن قبل وفاته بسنة وحضر ذلك الاحتفال رسمى عظيم أقامه فيها عام ٧٠٦ ق٠م٠ قبل وفاته بسنة وحضر ذلك الاحتفال أمراء دولته وأكابر موظفيه ٠ (اللوحة رقم ٢٢) ٠

وقد اتخذ ابنه سنحاريب ومن خلفه من الملوك الآشوريين مدينة نينوى حاضرة لملكهم ويبدو أن « دورشروكين » لم تهمل وتترك للزمان والعوامل الطبيعية لتهدم مبانيها وتطمرها بالتراب فحسب ، بل خلع سنحاريب من جدران قاعاتها بعض المنحوتات ونقلها الى نينوى وزين قصره الجديد ٠

ووجدت بعض المنحوتات الأخرى ، وهى فى مواضعها الأصلية ، مشوهة عن قصد بأزاميل النحت كأن رأى فيها الملوك الآشوريون الذين خلفوا سرجون كفراً وخروجاً عن ذوقهم المألوف ومعتقداتهم الدينية وقيمهم الفنية ٠

وخرسباد بعد ذلك مدينة ذات شكل مربع بوجه التقريب زواياها فى

(*) بقلم الأستاذ على محمد مهدى – الملاحظ الفنى

الاتجاهات الأربعة الرئيسية وسورها مشيد باللبن عرضه (٢٥) متراً وطوله (٧) كيلومترات • وللمدينة سبعة أبواب ذات حجرات كانت تزين جدرانها منحوتات رائعة • ويقوم فى منتصف الضلع الشمالية الغربية للسور سراى واسع مشيد على مصطبة من اللبن ترتفع بارتفاع السور ، ويضم ذلك السراى قصر سرجون ومعابد ثلاثة صغيرة وبرجاً مدرجاً يرتقى فى الأعياد الرئيسية خاص للحريم والخدم •

وبالقرب من الزاوية الجنوبية للمدينة منشئات أخرى • وجميع هذه المبانى الواسعة مطمورة الآن فى التراب •

ومن يقصد خرسباد من ناحية الموصل يقترب من الزاوية الغربية للمدينة أولا ويشاهد بعد ذلك على يمينه أحد أبواب المدينة فى الضلع الشمالية الغربية من السور • وهذا الباب قد جرى التنقيب فيه ووجدت جدرانه خالية من المنحوتات ، ثم ينحرف الزائر يميناً عن الطريق المؤدى الى بلدة عين سفنى فيصعد التل الذى يضم بقايا سراى سرجون والذى تقوم عليه فى الوقت الحاضر دار البعثة الأميركية المنقبة فى خرسباد • ويشاهد فى هذا التل الواسع حفائر التنقيب وفى احداها بقايا قاعة العرش للملك سرجون • وجوار هذه القاعة بعض الغرف ومنها ما فى جدرانه أجزاء ألواح من المرمر فيها بقايا صور محروقة مشوهة ، وتوجد عند النهاية الجنوبية الشرقية لهذا التل الواسع جدران طاق مشيد بالحجارة كان مدخلاً خلفياً للسراى الملكى • وبقيت مدينة سرجون مطمورة تحت التراب الى منتصف القرن الماضى حيث بدأ المنقبون يبحثون فى أطلالها وآثارها وأشهر أولئك المنقبين فكتور بلاس الذى أوفدته الحكومة الفرنسية عام ١٨٥٢ للتنقيب فيها • وقد تتبع بلاس جدران القصر وأبواب المدينة بحفائر عديدة وأنفاق كثيرة أحدثها ، فتمكن بها من أن يضع مخططاً كاملاً للمدينة ومن أن يستنسخ صور المشاهد التى كانت تزين جدران قاعات السراى وغرفه • وقد وضع فى ذلك مؤلفاً ضخماً قيماً ذا تصاوير ملونة يقال أن كلفة طبعه تجاوزت ضعف المبالغ التى صرفها على التنقيب فى خرسباد •

وجمع بلاس من هذه المدينة ومن غيرها من المدن القديمة آثاراً كثيرة وأراد

ايصالها على الاكلاك الى البصرة لتشحن منها بالبواخر الى أوربا ، الا أن معظم تلك الآثار غرقت ويا للأسف بالقرب من بلدة القرنة فى نقطة مجهولة من شط العرب فضاعت بهذه الكارثة منحوتات رائعة وكتابات قيمة وكميات كبيرة من آلات معدنية وآثار أخرى •

ونقبت فى أطلال خرسباد بعثة من المعهد الشرقى التابع لجامعة شيكاغو مدة ثمانى سنين ابتداء من عام ١٩٢٩ فوجدت منحوتات كثيرة نقلت قسما منها الى أميركا وقسطا كبيراً الى المتحف العراقى وفى عام ١٩٣٩ استخرجت مديرية الآثار العامة آثارا أخرى ، منها ثوران من الحجر مجنحان ثقل كل منهما يناهز العشرين طناً ولوحان من المرمر عظيمان فى كل منهما صورة جن بهيئة شخص مجنح •

ولقد ظهرت ضمن أسوار هذه العاصمة الآشورية ثلاثة أنصاب من الحجر أثناء تسوية الطريق الجديد بين الموصل وعين سفنى • فأوفدت مديرية الآثار العامة بعثة فنية للتحرى فى الموضع المذكور ، فعثرت على أنصاب أخرى مماثلة وتوصلت الى الكشف عن غرفة مستطيلة ظهر انها المكان المعد للصلاة فى معبد واسع لم يكن معروفاً لدى المنقبين الذين سبق لهم العمل فى موقع خرسباد • حيث ان المعابد التى كشفت من قبل البعثات التنقيبية السابقة كانت ضمن قصر سرجون الثانى وهى مخصصة لعبادة الآلهة الآشورية (نابو وادد وشمش وننكال ونينورتا وايا) بينما المعبد الذى كشفت عنه مديرية الآثار العامة يقع فى القسم الواطىء من خرائب المدينة فى الأرض المحصورة بين البوابة رقم (٧) الكائنة فى الضلع الشمالية الغربية من سور المدينة والبوابة المعلمة من قبل المنقبين بالحرف (أ) المؤدى الى حى القصر •

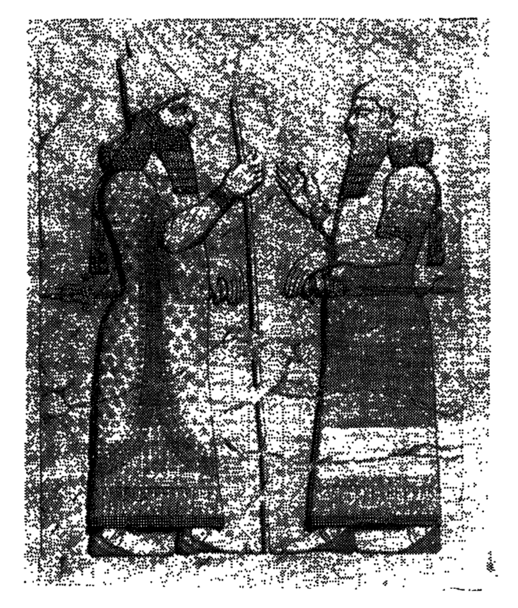
ويتألف المعبد من ساحة مكشوفة مبلطة بالآجر الكبير • وهى مربعة الشكل تقريباً أبعاده ٢٣٫٥ × ٢٣ م وارتفاع القسم الباقى من جدران هذه الساحة ١٫٣٠ م •

والملاحظ أن أركان هذه الساحة وزوايا الغرف التى تم الكشف عنها تتجه نحو الجهات الأربع الرئيسية • وفى الزاوية الشرقية للساحة يوجد ايوان

مستطيل مبلط يعتقد انه موضع مسلة . وفي وسط الضلع الجنوبية الغربية للساحة باب يحف به برجان ، وكانت أرضية الباب مبلطة بلوحين كبيرين من الرخام الأزرق يؤدي الى قاعة مستطيلة ونجد قسماً من أرضية القاعة مبلط بآجر مختوم باسم الملك سرجون الثاني وفي النهاية الشمالية الشرقية لقاعة المصلى توجد أربع درجات من الحجر ترتقي الى حجرة المذبح مبلطة بألواح من حجر الكلس ويوجد في وسط جدارها الشمالي مذبح مستطيل الشكل ، وفي الضلع الشمالية الغربية لساحة المعبد يوجد بابان يؤديان الى قاعة أخرى مستطيلة الشكل وجدت فيها موائد من الحجر بين صفين من دكاك للجلوس وهي مبلطة بآجر كبير . وان هذه المناضد تؤلف صفين متوازيين ، وهي أول قاعة من نوعها . ويعتقد أن الغرض من انشائها اطعام الوفود عند الولائم الدينية أو كانت موضعاً للاجتماعات الدينية الخاصة باله المعبد وهو الاله السيبيتي . وان في وسط الضلع الشمالية الشرقية للساحة باب يؤدي الى مجاز مستطيل ثم رفع النقض من جزء صغير منه . ولهذا المجاز باب آخر بين برجين ، وهنالك باب في الضلع الجنوبية الشرقية للساحة يؤدي الى مرفق آخر .. أما الأنصاب المكتشفة داخل حرم العبادة فكانت على نمط واحد وهي ذوات أجسام ثلاثية الجوانب ، وسطحها الأعلى المستدير يجعلها وكأنها مناضد تقوم على ثلاثة أرجل تشبه نهايتها كف الأسد ، وحافتها مستديرة منقوشة بالكتابة المسمارية وتبين هذه الكتابة اسم الاله الذي شيد من أجله المعبد . وفيما يأتي ترجمة هذا النص :

« سرجون ملك العالم ، ملك بلاد آشور ، الكاهن الأكبر لمدينة بابل ، ملك سومر وأكد وضع وأهدى (هذا النصب) الى الاله (سيبيتي) البطل الذي لا ثاني له ... »

وتدل هذه الكتابة على أن هذا المعبد كان مخصصاً لعبادة الاله الآشوري . وبالنظر لأهمية هذا المعبد فقد قامت مديرية الآثار العامة باعادة بناء جدره الى ارتفاع حوالي متر واحد . وأنجزت تبليط أرضية غرفه وساحته بالآجر وأعادته الى ما كان عليه في السابق .



اللوحة رقم ٢٢ ـ لوح حجرى منحوت نحتا بارزا للملك سرجون الآشورى وأمامه شخص ربما كان وزيرا من خرسباد (القرن الثامن قبل الميلاد) .

مدينة بابل (*)

تقع هذه المدينة التاريخية على بعد ٩١ كم جنوب مدينـة بغداد وعلى يمين الطريق المؤدى الى الحلة •

وتعتبر مدينـة بابل من أهم العواصم الأثرية فى تاريخ العـراق السياسى والحضارى القديم فانها اشتهرت بصورة خاصة بحقبتين مجيدتين كان لهما شأن سياسى خطير فى تاريخ العراق القديم منذ قيام سلالة بابل الأولى عام ١٨٨٠ - ١٥٨٠ ق•م• التى اشتهرت بملكها السادس حمورابى اذ أصبحت فى زمانه عاصمة الامبراطورية البابلية بعد أن دانت له بلاد آشور والمدن المهمـة فى بلاد ما بين النهرين وأخضع مملكتى أيسن ولارسا وضم بلاد سومر اليها • على أن حمورابى لم يشتهر بقدرته العسكرية فحسب بل اشتهر بأعماله الادارية وتنظيم حيـاة المجتمع وان مسلة حمورابى خير دليل على شـهرته وخلود مجده - وان لم تكن هذه المسلة أول شريعة فى تاريخ العراق القديم اذ سبقتها شريعة مملكة اشنونا - الا أنها أول شريعة كاملة تناولت حياة الفرد وتنظيم المجتمع البابلى • نقشت هذه المسلة على حجر الديواريت الأسود بـ ٣٠٠٠ سطراً وبلغ ارتفاعها ثمانيـة أقدام ويشاهد فى القسم العلوى منهـا نحت بارز للملك حمورابى وهو يستلم شريعته من اله الشمس • (اللوحة رقم ٢٣) •

ومما يدل على أهمية بابل وموضعها انها ظلت عاصمة للبلاد حتى العهـد السلوقى ١٢٩ ق•م• وحين بنى سلوقس عاصمته (تل عمر الآن) أخذت مدينة بابل فى الاضمحلال ، الا أن آخر حقبة مجيدة فى تاريخ المدينة تقع فى العهد المعروف بالعهد البابلى الأخير عام ٦٢٥ - ٥٣٨ ق•م• حين تربع الملك نبوخذ نصر الثانى على عرش المملكة وحكم زهاء ٤٢ سنة • وتعد هذه الفترة من العهود المجيدة لا فى تاريخ العراق وحسب بل فى تاريخ البشرية فانه بالرغم من كثرة الحروب الناجحة التى خاضها وأخضع فيها سواحل سورية وفلسطين (سـواحل البحر الأبيض المتوسط الشرقية) لم تسجل الكتابات التى خلفها لنا هذا الملك سوى

(*) بقلم الأستاذ خالد الأعظمى - منقب الآثار •

البناء والعمران والتشييد • والآجر المختوم باسم الملك نبوخذ نصر المنتشر في كل مكان من جنوب العراق برهان ساطع لأعمال هذا الملك العمرانية •

والزائر لمدينة بابل في الوقت الحاضر يجد أن جميع الأبنية من قصور ومعابد وشوارع وأسوار مما حققه المنقبون الألمان خلال الأربعة عشر عاماً ، انما هو من عمل الملك نبوخذ نصر الذي يصح أن نقول عنه أنه أعاد بناء مدينة بابل من جديد ولا سيما بناء القصور والمعابد (اللوحة رقم ٢٤) •

أما السؤال عن مدينة بابل وشكلها في عهد الملك حمورابي فان يد البحث لم تتمكن من التوصل اليها لأن مستوى المياه الجوفية في الوقت الحاضر أعلى بكثير من مستوى مدينة بابل في عهد سلالة بابل الأولى (اللوحة رقم ٢٥)

وصف المدينة :

تقع مدينة بابل على الشاطيء الأيسر لشط الحلة أحد فرعي نهر الفرات بعد أن غير الفرات مجراه وقد كان يمر من وسط المدينة ويقسمها الى جزئين يربط بينهما جسر مبني بالآجر وتشاهد بقايا أسس أعمدته في مجراه القديم •

يحيط مدينة بابل سوران خارجي وداخلي ويمكن مشاهدة بعض أجزاء السور الخارجي الى الشمال من قصر نبوخذ نصر الصيفي ويتألف من ثلاثة جدران — أولها اعتباراً من الداخل جدار سميك مشيد باللبن يبلغ سمكه ٧ أمتار وأمام هذا الجدار على مسافة ١٢ متراً جدار ثاني مشيد بالطابوق وسمكه ٧ر٣٠ مترا ويليه جدار ثالث من الطابوق أيضاً وسمكه ٣ر٣٠ متراً وكان هذا السور يدعى في اللغة البابلية باسم (امكر — بيل) أما السور الداخلي فيدعى (نمتي — بيل) ويتألف من ثلاثة أجزاء قوامها جداران من اللبن يوازي أحدهما الآخر ويفصل بينهما فضاء عرضه سبعة أمتار •

قصور المدينة :

لقد كشفت التنقيبات في مدينة بابل عن ثلاثة قصور وهي القصر الجنوبي والقصر الشمالي (الرئيسي) والقصر الصيفي ويقع الأخير منها بجوار سور المدينة الخارجي ، والقصر الرئيسي ويقع الى الشمال من باب عشتار والقصر

الجنوبى ، ويفصل بين القصر الجنوبى والقصر الرئيسى عند باب عشتار • (اللوحات ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨) •

القصر الجنوبى :

ويقع هذا القصر جنوب باب عشتار ويتألف من خمسة ساحات كبيرة يحيط بكل منها حجرات ومرافق كثيرة وتعتبر وسطى هذه الساحات وهى الساحة الثالثة أهمها وأوسعها مساحة وهى الساحة المعدة للاستقبال • ويوجد فى ضلعها الجنوبى قاعة العرش وقد زينت واجهة القاعة المقابلة لساحة الاستقبال بطابوق مزجج بألوان عديدة براقة •

الجنائن المعلقة :

تقع الجنائن المعلقة فى الزاوية الشمالية الشرقية من قصر نبوخذ نصر الجنوبى اذ عثر المنقبون على بناء غريب عما هو مألوف فى بقية الأبنية البابلية ويتألف هذا البناء من أربعة عشر حجرة معقودة تتشابه شكلاً وحجماً ويفصل بين كل سبعة منها رواق يؤدى الى هذه الحجرات المعقودة ويحيطها أيضاً ممر واسع آخر يؤدى الى حجرات صغيرة وجد فى أحدها بئر تختلف عما هو مألوف فى أنواع الآبار ، فلها ثلاث حفر بعضها بجانب البعض ؛ حفرة مربعة فى الوسط وحفرتان مستطيلتان على جانبى الحفرة المربعة • وقد فسر المنقبون هذه البناية والبئر بأنها موضع الجنائن المعلقة المشهورة التى عدها غير واحد من كتاب اليونان والرومان من عجائب الدنيا السبع •

شارع الموكب :

يعتبر شارع الموكب فى مدينة بابل من أهم الشوارع وأوسعها واسمه القديم (أى – يبور – شابو) أى لا يعبر الأعداء • وفى أعياد رأس السنة البابلية (بين آذار – ونيسان) كانت تخترقه تماثيل الآلهة ومواكب الأعياد • ويبدأ هذا الشارع من موقع من المحتمل أنه يدعى (بت – آ – كيتو) أى بيت الولائم متجهاً الى الجنوب ماراً بالقصر الرئيسى وباب عشتار والقصر الجنوبى والبرج المدرج ويسير بموازاة النهر ثم ينعطف بزاوية قائمة تقريباً الى الغرب فيصل النهر عند جسر مشيد بالآجر ويعتبر هذا الجسر استمراراً لشارع

الموكب الى القسم الغربى من المدينة • وكانت جدر القسم الشمالى منه ولا سيما الجزء الملامس لباب عشتار مزينة بصور أسود بارزة وملونة بالطابوق المزجج •

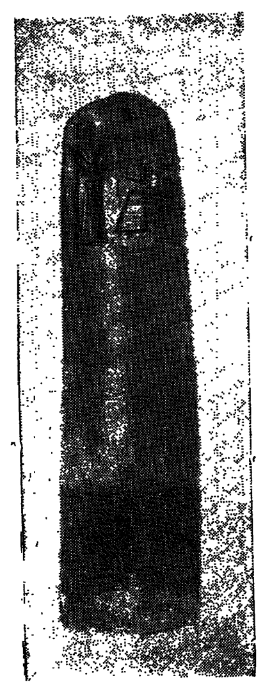
يتوسط شارع الموكب تقريباً باب ضخم يبلغ ارتفاعه حوالى ٢٤ متراً جدد بناءه الملك نبوخذ نصر عدة مرات،وكان آخر التجديد بالآجر الأزرق المزجج يزينها صور لحيوانات بارزة تتألف من صف من الثيران متعددة الألوان فوق صف من صور لحيوان خرافى (التنين) وهو حيوان مركب يعده البابليون خاصاً بالاله مردوخ •

المعابد :

يوجد فى بابل معابد كثيرة خصصت لعبادة آلهة مختلفة وأهمها معبد « ايساكلا » وهو المعبد الرئيسى فى المدينة ومعنى اسمه « البيت الرفيع » وقد خصص هذا المعبد لعبادة الاله مردوخ • وكثيراً ما يقترن اسم هذا المعبد مع (اى – تمن – آن – كى) وهو اسم برج بابل الشهير الذى ورد ذكره فى التوراة وقد شيد هذا البرج داخل سور يحيط بساحة مستطيلة أبعادها ٤٥٠ × ٤٠٠ متراً ويرقى اليه بمجموعة سلالم فى أسفله ثلاثة سلالم ، سلم وسطى وسلمان جانبيان ويبلغ ارتفاع البرج ٩١٫٥٥ م وطول ضلع قاعدته المربعة ٩١٫٥٥ متراً أيضاً • (اللوحة رقم ٢٩) •

وقد وجد المنقبون آثار معابد أخرى لعبادة الآلهة عشتار البابلية وعشتار الأكدية ونن ماخ والاله ننورتا وأهم هذه المعابد هو معبد الاله ماخ الملامس لباب عشتار والذى قامت مديرية الآثار العامة بصيانته ويعتبر نموذجاً حياً وكاملا بالحجم الطبيعى للمعابد البابلية •

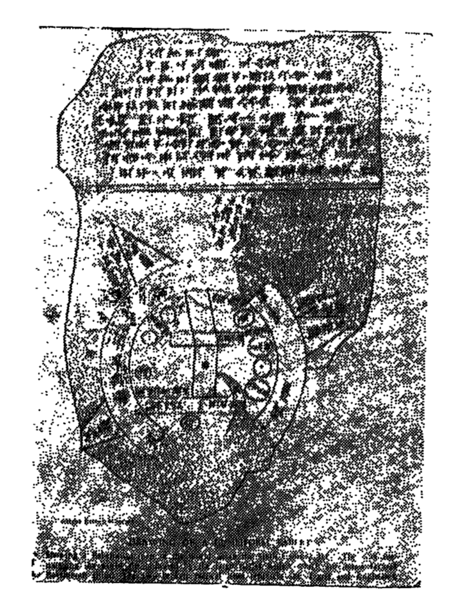
* * *



اللوحة رقم ٢٣ ـ مسلة حمورابى

ويشاهد فى القسم العلوى منها الملك حورابى يستلم شريعته ـ ١٦٩٠ ق٠م

(الأصل معروض فى متحف اللوفر فى باريس)

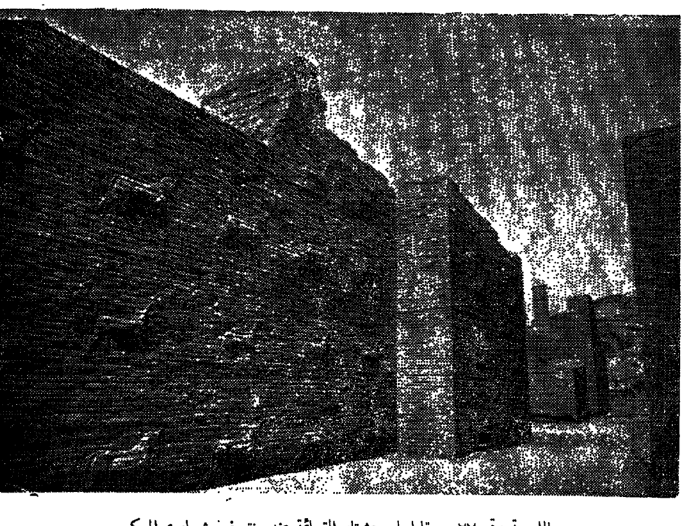


اللوحة رقم ٢٤ ـ لوح طينى من القرن السادس قبـل الميـلاد رسم عليه صورة العالم كما هو معروف لدى البابليين ٠



اللوحة رقم ٢٥ ـ أسد بابل ـ من الحجر البركانى ـ من عصر الملك نبوخذ نصر .

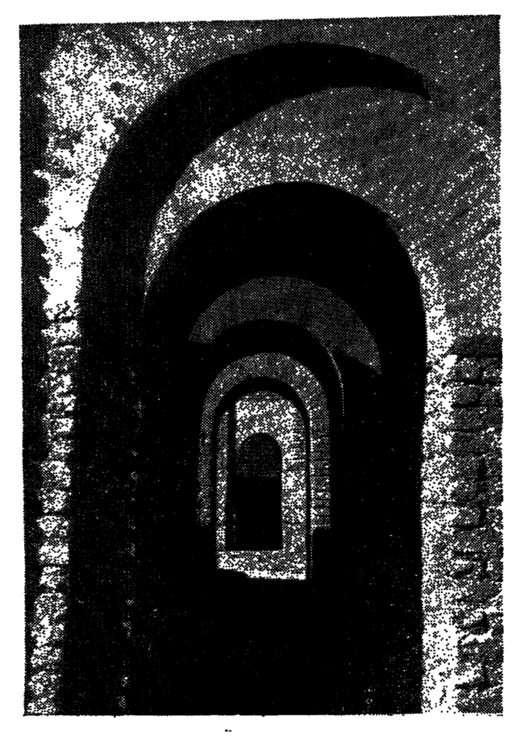
اللوحة رقم ٢٦ ـ باب عشتار ـ وقد شيدته مديرية الآثار بنصف الحجم
الطبيعي في بابل ـ عند مدخل متحف بابل •



اللوحة رقم ٢٧ ـ بقايا باب عشتار القائمة عند منتصف شارع الموكب
الذى شيده نبوخذ نصر فى القرن السادس قبل الميلاد •



اللوحة رقم ٢٨ ـ منظر عام لبقايا باب عشتار ٠



اللوحة رقم ٢٩ ـ المدخل الشمالى الشرقى لمعبد نن ـ ماخ فى بابل .

الحضر (*)

تقع مدينة الحضر فى بادية الجزيرة الشمالية على بعد ٣ كم من الضفة الغربية لوادى الثرثار وعلى بعد ١٢٠ كم الى الجنوب من الموصل •

ولا يعلم بالضبط مؤسس هذه المدينة ولا زمن تأسيسها الا أنه من المرجح انها كانت مستوطناً لعرب البادية ومركزاً مقدساً منذ العصور القديمة وذلك لكثرة وجود بقايا معابد شيدت فى الأصل لمختلف الآلهة ••• بعضها يرجع الى أصل آشورى والبعض الآخر لآلهة عرب البادية الشمالية أو عرب الجزيرة • أو بالأحرى انها كانت احدى كعبات العرب التى شيدت فى مختلف الأقطار التى سكنوها •

تعود أهم الأبنية القائمة الآن الى القرون الثلاثة للميلاد الا أن نتائج التنقيبات التى أجرتها مديرية الآثار العامة فيها (١٩٥١ - ١٩٥٥) قد مد زمن استيطان المدينة الى قرون أقدم من ذلك وعلى الأرجح الى العصر الهلنستى مع العلم بأن بقايا عدة طبقات سكنية ما زالت موجودة تحت بقايا الأبنية الشاخصة وربما كشفت لنا الحفريات الأثرية القادمة أن المدينة كانت مسكونة منذ العصر الآشورى • (اللوحة رقم ٣٠) •

ولقد ازدهرت مدينة الحضر كثيراً فى حضارتها وتجارتها واشتهرت بنفس الوقت بمناعة أسوارها المشيدة من الحجر والكلس وبشجاعة أهلها بحيث انها صدت أقوى الهجمات الرومانية فى زمن الامبراطورين تراجان سنة ١١٧ م وسبتيموس سيبروس عام ١٩٨ - ١٩٩ م الذى هاجمها مرتين وفشل فى كلتيهما فشلا ذريعاً وهلك معظم جنوده •

وأبانت لنا الحفائر بأن أقدم سلالة ملكية عربية أسست فيها وذلك فى القرن الأول للميلاد وكان أشهر ملوكها سنطروق الأول والمرجح أنه مؤسس السلالة الأولى وحكم فى منتصف القرن الأول للميلاد ، وابنه الملك عبد سميا

(*) بقلم الأستاذ محمد على مصطفى - الملاحظ الفنى •

الاول ثم سنطروق الثانى الذى حكم فى النصف الأول من القرن الثانى للميلاد .. وبرسميا فى أواخر القرن الثانى ، وأثال ، وآخرهم الضيزن الذى ورد اسمه بهذا الشكل فى المصادر العربية ، وملك آخر باسم ولجش ولربما كان من الملوك الأوائل . وقد بقيت المدينة مستقلة الى مطلع العهد الساسانى وحالفت الرومان بعد اندحار الفرثيين الا أنها سقطت على يد الملك الساسانى شابور الأول (٢٤١ — ٢٧٩ م) الذى دمرها فى منتصف القرن الثالث للميلاد ويروى المؤرخون العرب بصدد سقوط المدينة عن مناعتها بحيث أن شابور لم يستطع فتحها الا بخيانة ابنة ملك المدينة النضيرة بنت الضيزن ، ومن المرجح انها لم تسكن بعد هذه الضربة القاسية وعمها الدمار وبقيت خراباً بحيث وصفها اميانوس مرسيلينوس بأنها كانت خرائب عندما مر بها مع الجيش الرومانى فى عام ٣٦٣ م أى بعد سقوطها بنحو ١١٧ سنة . ولقد ذكرها كذلك مؤرخو العرب ونسبوا أبنيتها الى ملك اسمه الساطرون وهو الاسم المحرف عن سنطروق وذكرها ياقوت .. وبعض من شعراء العرب مثل الجدى بن الدلهات ، وفى الأغانى نسب الشعر الى عمر بن آله . وكذلك وصفها عدى ابن زيد (٥٨٧ م) من شعراء العرب فى الجاهلية فى قصيدته المشهورة الى النعمان بن المنذر . وفى أوائل القرن الحالى زار خرائب الحضر المنقبون الألمان الذين كانوا فى آشور ودرسوا أطلالها ووضعوا عنها دراسة شاملة سنة ١٩١٢ .

وفى سنة ١٩٥١ الى عام ١٩٥٥ نقبت مديريه الا ثار العامة فيها وكشفت عن بعض المعابد الخاصة والتى وجدت فيها كثيراً من الآثار النفيسة وأهمها التماثيل الخاصة بالملوك والأمراء والقواد والكهنة وبعض الآثار الأخرى الدقيقة وعرضت معظم هذه الآثار فى المتحف العراقى ببغداد وفى المتحف المحلى بمدينة الموصل .

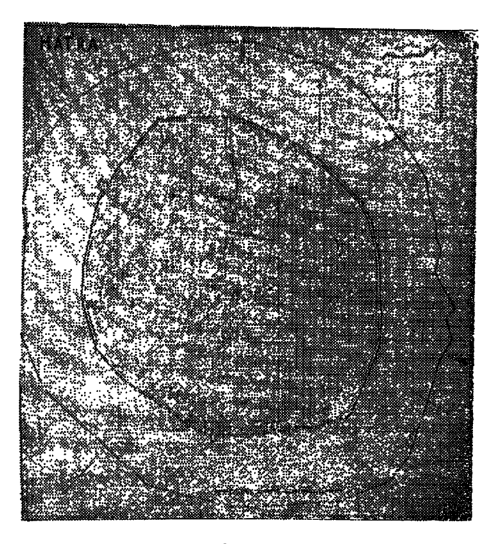
وفى عام ١٩٦٠ م شرعت المديرية فى صيانة مبانى هذه المدينة ووضعت منهجاً شاملاً ومستمراً (اللوحة رقم ٣١) وفى أثناء الصيانة كشف عن مرافق المعابد الكبيرة الواقعة فى وسط المدينة وعثر على معبد يقع فى الساحة الكبرى للمعبد الرئيسى شيد على الطراز الهلنستى تحيط به أعمدة بصفين تعلوها تيجان

على نوعين ؛ الأول منهما على الطراز الأيوني والثاني على الطراز المركب من الأيوني والكورنثي وعثر بين أنقاض هذا المعبد على أجمل التماثيل المصنوعة من المرمر اليوناني والنحاس وقد نحتت على طراز مدرسة المثال لسيبس (نحات بلاط الاسكندر الأكبر) وتمثل آلهة يونانية أهمها أبولو وبوسايدن اله البحر وكيوبيد اله الحب وارتمس العذراء وآلهة أخرى . وان أهم معابد المدينة معبد اله الشمس رب آلهة الحضر ويتكون من غرفة مكعبة يحيط بها ممر من الجهات الأربع ويقع خلف الايوان الكبير الذي يمثل معبد الثالوث المقدس . وكذلك المعبد الشمالي الكبير والمعبد الملحق به في ضلعه الشمالي ... ومعبد آخر ذو مقدمة شيدت على الطراز اليوناني فوق ستة أعمدة والمعبد فوق منصة يرتقى اليها بدرج واسع في مقدمة المعبد وكرس هذا المعبد لعبادة آلهة السحر (شحيروا) ويقابل هذا المعبد معبد آخر ربما شيد للاله شلمن (شلمان) أحد آلهة الحضر (اللوحة رقم ٣٢) .

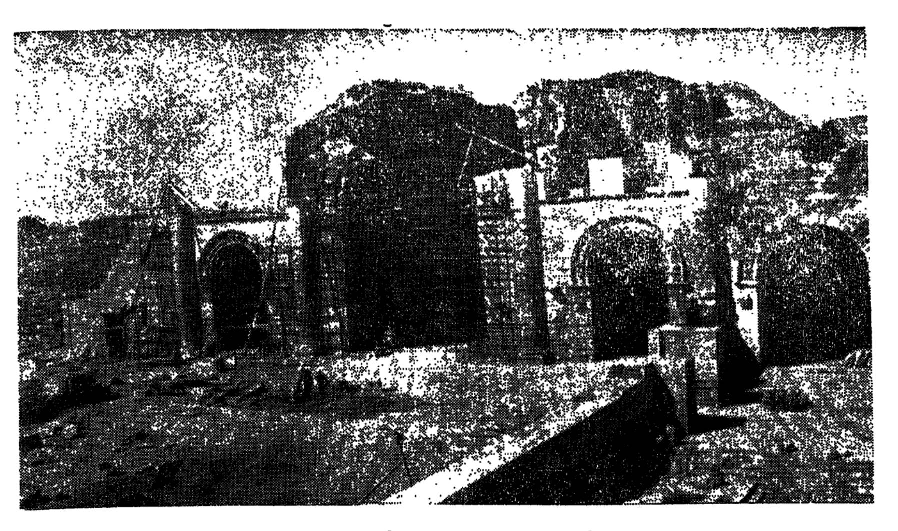
ويشاهد الزائر حالياً أن مدينة الحضر شبه مستديرة يحيطها سوران الأول مشيد من اللبن فوق أساس من الحجر الكبير قطره نحو ٣ كم والسور الثاني الداخلي يبعد عنه نحو الداخل بنحو ٥٠٠ م شيد من الحجارة المهندمة وله أربعة أبواب من الجهات الأربع وتعلو السور أبراج كبيرة منها صلدة وأخرى كبيرة تحتوي على مرافق للدفاع ويحيط هذا السور بدور المدينة وساحاتها ومعابدها الخاصة . وفي وسط المدينة تقع مجموعة المعابد الرئيسية التي ذكرت سابقا . (اللوحة رقم ٣٣) .

وأهم آلهة الحضر التي شيدت لها معابد خاصة في مختلف أطراف المدينة هي : نرجال ، وهرقل ، وبعلشمين ، وسميا ، واشرابيل ؛ واترعتا .

وخلاصة القول أن مدينة الحضر كانت في الأصل قرية صغيرة ثم نمت حتى أصبحت مركزاً مهماً وعاصمة العرب للبادية الشمالية في القرون الثلاثة الأولى للميلاد . وحالفت الفرثيين حيث عدت من أهم المدن المستقلة استقلالا ذاتياً في الصور الفرثية وكان نفوذها السياسي يمتد من جنوب سنجار الى شمال بلد ومن دجلة شرقا الى الفرات غربا ، الى أن قضى عليها الساسانيون في سنة ٢٦٤ ميلادية .



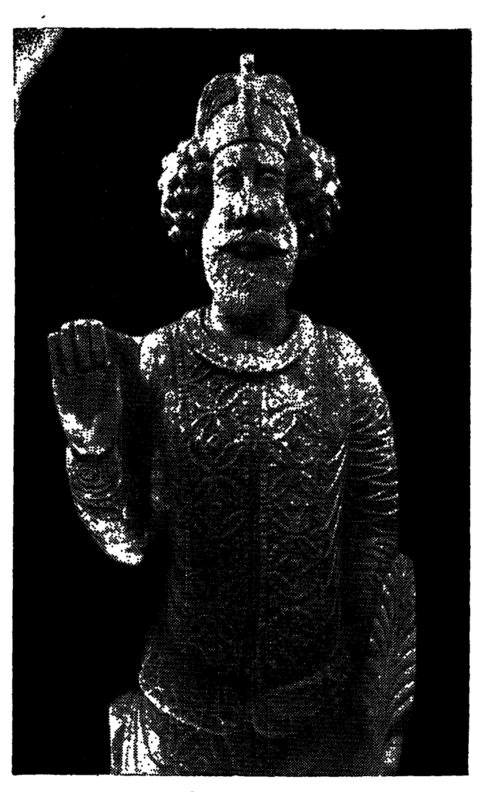
اللوحة رقم ٣٠ ـ مخطط لمدينة الحضر الأثرية ، ويشاهد السوران وحي المعابد في وسط المدينة •



اللوحة رقم ٣١ ـ واجهة المعابد الرئيسية أثناء الصيانة (معبد مرن) .



اللوحة رقم ٣٢ – معبد شحيرو ، والضلع الشرقي لحي المعابد في الحضر .



اللوحة رقم ٣٣ ـ تمثال الملك سنطروق الأول ، من حجر الكلس (مرمر الموصل) ، وقد رفع يمناه محييا اله المعبد ، وعلى رأسه نسر يرمز الى انتصاراته عام ١١٦ م .

الأخيضر (*)

يقع حصن الأخيضر على بعد ٥٠ كيلو متراً الى الغرب من كربلاء ، وعلى بعد ١٩٢ كيلومترا جنوب غربي بغداد .

يمتاز موقعه بقربه من وادي الأبيض الذي كانت المياه وما زالت تتجمع فيه عند موسم الامطار خلال فصل الربيع .

وتسمية هذا الحصن بالأخيضر ليست قديمة ، ويبدو أن أقدم ذكر لها يرجع الى ما كتبه الرحالة (بيترودلافالا) الذي مر به سنة ١٦٢٥ للميلاد في طريقه عبر الصحراء من البصرة الى حلب . والأخيضر قصر داخل حصن مستطيل الشكل قياسه ١١٢ × ٨٢ متراً ، يحيط به سور ذو أبراج عديدة وأربعة مداخل ، قياس هذا السور ١٧٥ × ١٦٩ متراً . وارتفاعه عن سطح الأرض المحيطة به في الوقت الحاضر يبلغ سبعة عشر متراً ، وله أربعة أبراج في زواياه ، وفي وسط كل ضلع من أضلاع هذا السور من الخارج برج كبير يتوسطه باب أو مدخل . وبين برج المدخل وبرج الزاوية في كل ضلع الى يمين المدخل والى يساره توجد خمسة أبراج وبذلك يكون عدد الأبراج التي تدعم السور ثمانية وأربعين برجاً .

أما القصر فان بناءه ملاصق للضلع الشمالي من السور الخارجي ، وله سور خاص من الجهات الشرقية والغربية والجنوبية ، أما من الجهة الشمالية فمدخل القصر متصل بمدخل السور الخارجي .

والملاحظ أن سور القصر مدعم بأبراج صغيرة في أضلاعه الثلاث المستقلة ، من بينها برجان في الركنين الجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي ، وعدد الأبراج في كل من الضلع الشرقي والغربي ثمانية أبراج ، وفي الضلع الجنوبي خمسة أبراج عدا برجي الزاوية .

وهناك أرض فضاء تحيط بالقصر من جهاته الجنوبية والشرقية والغربية تفصل بينه وبين السور الخارجي .

(*) بقلم الأستاذ منصور عبادة ـ ملحق الآثار .

واذا ألقينا نظرة الى مخطط قصر الأخيضر لوجدناه يتألف من الأقسام التاليـــة :

١ ـ القسم الشمالى : ويتصل بالســور الخارجى ، ويتـألف من ثلاثة طوابق فى جزئيه الأوسط والشرقى ، وكان هذا القسم يضم الديوان الرسمى ودوائر الحاشية والمضيف والحرس •

٢ ـ القسم الأوسط : أو القسم المركزى ، يحيط به مجاز معقود من جهـاته الأربع يفصله عن سائر أقسام القصر ، ويضم هذا القسم الرحبة الكبرى أو رحبة الشرف وقاعات الاستقبال •

٣ ـ القسم الجنوبى : يتصل هذا القسم بالجزء الأوسط من القصر من الجهة المذكورة ، ويتـألف من بيتين أو دارين قوام كل منهما صـحن وست غرف •

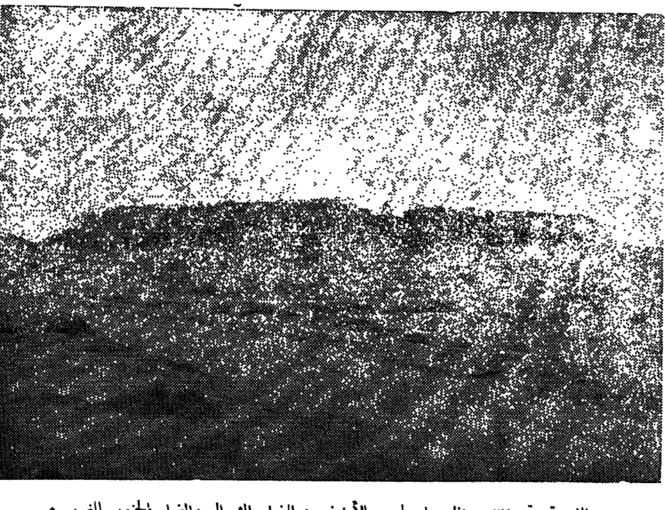
٥ ـ القسم الغربى : موقعه غرب القسم الأوســط ومحتوياته كالقسم السابق ومن الراجح أن القسمين الأخيرين كانا مقراً للحريم •

يضاف الى هذه الأقسام الخمسة الآنفة الذكر ملحق يقع شرقى القصر فى الفضاء الممتد من سور القصر الى السور الخارجى ، وملحق آخر يقع شمال السور الخارجى على بعد عشرين متراً من زاويته الغربية •

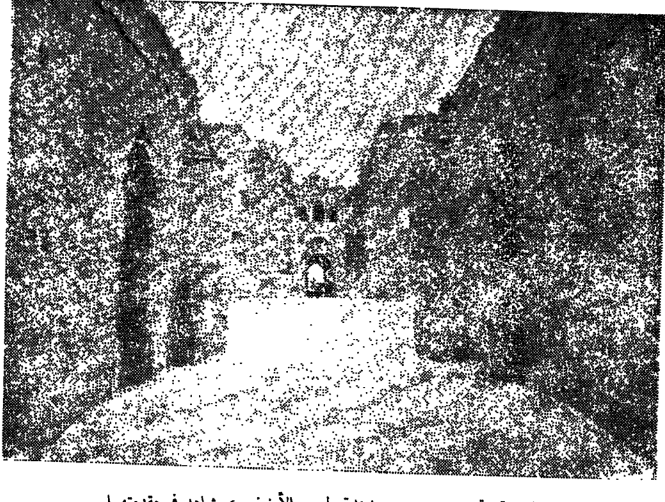
أما زمن حصن الأخيضر فبالرغم من اختلاف الرأى فيه فانه على ما يرجح يرقى الى القرن الثانى للهجرة •

بالاستناد الى الطرز الفنية المتمثلة فى هذا البناء المعروف بالطراز الحيرى وأوائل القرن السابع الميلادى من قبوات وأقواس كما ثبت بالأدلة الأثرية أن الجامع الذى يحتويه قصر الأخيضر من أصل البناء ولم يستحدث بعـد تشييد القصر ، ومحراب هذا الجامع من النـوع المجوف وهو الطـراز الذى أدخـل فى العمارة الاسلامية لأول مرة عام ٧٠٩ للميلاد فى جامع المدينة المنورة عندما قام بتعميره الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك •

وهنـاك أدلة معمارية وأثرية أخرى لا مجال لشرحها فى هـذا البحث المختصر ، تثبت أن الأخيضر أثر اسلامى (اللوحتان ٣٤ ، ٣٥) •



اللوحة رقم ٣٤ ـ منظر عام لحصن الأخيضر ، الضلع الشمالى والضلع الجنوبى الغربى •



اللوحة رقم ٣٥ ـ صورة داخلية لحصن الأخيضر ، يشاهد فى مقدمتهـا
جدار من قاعة الشرف وساحة القصر ومرافق الضيوف •

سامراء وآثارها الشاخصة (*)

شيدها المعتصم بالله ثامن خلفاء بنى العباس عام ٢٢١ هجرية (٨٣٦ م) وبالرغم من أنه لم يكتب لها من العمر الا نيفاً وأربعين عاماً فقد امتد بهـا العمران حتى أصبحت حاضرة العالم الاسلامى •

ان خرائب سامراء التى تشغل رقعة من الأرض لا تقل عن مائة وستين من الكيلو مترات المربعة تعتبر اليوم أكبر المدن المندرسة فى العالم الاسلامى •

لقد راعى المعتصم فى تخطيطـه لعاصمته الجديدة تقسيمهـا الى قطائع وزعت على القواد والكتاب وسائر الناس •

ومن القطائع الشهيرة التى لا تزال أسوارها قائمـة قطيعة القـائد التركى شناس الواقعة فى القسم الشمالى من المدينة فى الموضع المعروف بكرخ سامراء ثم قطيعة ابراهيم بن رياح المحاذية لها من الجهة الشمالية •

أما جامع المعتصم فقد عفت آثاره وذلك بعد أن شيد المتوكل جامعه الكبير فى القسم الشرقى من المدينة • ولم يبق من القصور التى بناها الا خرائب دار العامة ، هذه الخرائب التى تغطى مساحة من الأرض تزيد على نصف مليون من الأمتار المربعة والذى لا تزال بعض أجزائه قائمة ومنها مدخله الشهير المعروف بباب العـامة الذى كان يفضى الى القـاعات الرئيسية للقصر • ومن القصـور الأخرى التى تنسب للمعتصم قصر الحويصلات فى الجانب الغربى من نهر دجلة الذى يعود الفضل فى اظهار معالمه لمديرية الآثار العراقية العامة التى أجرت فيه تنقيبات واسعة قبيل الحرب العالمية الثانية •

واذا كان للمعتصم الفضل فى تشييد سامراء فان الفضل كل الفضل يعود للمتوكل على الله فى توسيعها وتجميلها وايصالها الى عصرها الذهبى حتى انهـا « صارت أعظم بلاد الله اذ لم يبن أحد من الخلفـاء بسر من رأى من الأبنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل » • ومن القصور التى شيدها فى سامراء : الفردوس

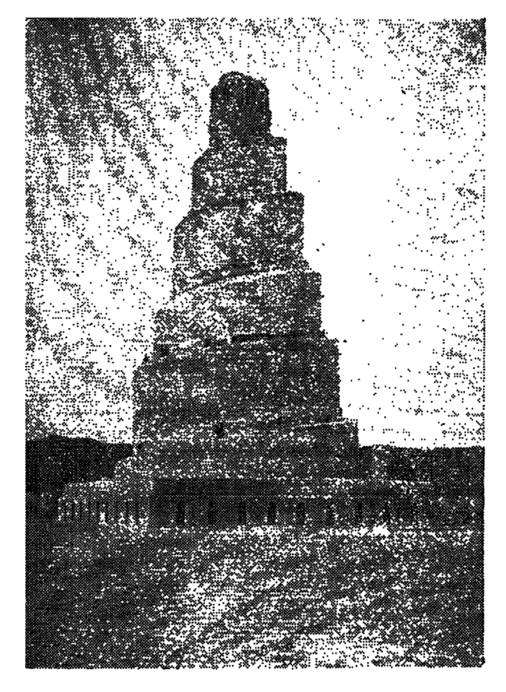
(*) بقلم الدكتور عبد العزيز حميد ـ الأبحاث الاسلامية •

والمختـــار والبرج والشيدان والغريب وبستان الايتاخية والقلائد وبلكوارا .
وقد اعتبر بعض المؤرخين العرب الأقدمين هـذا القصر الأخير (الذى يبعد ستة كيلومترات جنوب سامراء الحالية) من أحسن قصـور المتوكل وأجلهـا .
وقد ذكر أنه أنفق على بنائه عشرين مليونا من الدراهم . ولقد قام هرتسفلد عام ١٩١١ بحفريات واسعة النطاق أبرز فيها معالم هـذا القصر الذى لا يزال الكثير من جدرانه قائم الى هذا اليوم . ومن آثار المتوكل الأخرى التى لا تزال آثارها واضحة ساحة السباق المبتكرة والمتكونة من أربع حلقات متماسة الواقعة الى جنوب تل العليق .

غير انه مما لا شك فيه أن أعظم الآثار التى خلفها المتوكل فى سامراء جامعه الشهير ذو المئذنة الحلزونية المعروفة بالملوية . هذا الجامع الذى بنى بين سنتى ٢٣٤ و ٢٣٧ هجرية . وقد أنفق على بنائه مبلغاً قدره خمسة عشر مليوناً من الدراهم . يتميز هذا الجامع بعدة مزايا فريدة فى بابها ، منها مساحته الهائلة التى تقارب ثمـانية وثلاثين ألفـاً من الأمتـار المربعـة وعلى ذلك يعتبر أكبر جوامع العالم حيث يليه فى المساحة جامع قرطبة فى الأندلس وقـد كان يتسع لثمانين ألف من المصلين ، ومن مزاياه الأخرى مئذنته الحلزونية العجيبة والتى كانت ولا شك الأولى من نوعهـا ثم جدر الجـامع الهـائلة المدعمـة بالأبراج الضخمة وكان يتوسط هـذا الجامع فوارة لا ينقطـع ماؤها أطنب المؤرخون فى وصفها سميت بكأس فرعون وكانت تتكون من قطعة واحدة من الرخام الوردى قطرها سبع وعشرون ذراعاً وسمكها نصف ذراع (اللوحة رقم ٣٦) .

وفى زمن المتوكل أيضاً شيدت مدينة المتوكلية فى أقصى الشمال حيث ربطت بسامراء بالشارع الأعظم الذى بلغ طوله ستة كيلومترات وعرضه مئة متر ولا تزال أطلال هذا الشارع العظيم شاخصة .

ان من أهم الآثار الشاخصة فى هذه المدينة المسجد الجامع المعروف اليوم باسم جامع أبو دلف ذو المئذنة الحلزونية التى هى عبـارة عن صـورة مصغرة لملوية سامراء . ان هذا الجامع مستطيل الشكل طوله ١٥٨ متراً وعرضه ١٠٨ أمتار ، له صحن مكشوف محاط من جهاته الأربعة بأروقة ذات أكتاف ضخمة وأقواس قليلة التدبب ، ان معظم هذه الأقواس والأكتاف لا تزال قائمة.ويشاهد



اللوحة رقم ٣٦ ـ منظر عام للمئذنة المعروفة بالملوية فى سامراء
(القرن الثالث الهجرى ـ التاسع الميلادى)



اللوحة رقم ٣٧ – جامع الجمعة فى سامراء – بقايا السور .



اللوحة رقم ٣٨ – بعض قاعات قصر العاشق في سامراء .

فى أقصى شمال المتوكلية أطلال وبقايا القصر الجعفرى الشهير الذى تربو مساحته على نصف مليون من الأمتار المربعة والذى اشتهر بحسنه وعظم النفقة عليه هذا القصر الذى قتل ودفن فيه بانيه المتوكل (اللوحة رقم ٣٧) .

لقد كان الخلفاء الذين خلفوا المتوكل ضعافاً فقد أصبحوا ألعوبة بيد القواد الأتراك الا الخليفة المعتمد على الله آخر الخلفاء العباسيين فى سامراء . ومن أشهر الأبنية التى خلفها لنا هذا الأخير قصر العاشق فى الجانب الغربى لنهر دجلة . ان اسم هذا القصر القديم هو المعشوق وسمى بذلك لجماله ورونقه . فقد ذكر لنا اليعقوبى أن المعتمد قد بنى قصراً فى الجانب الغربى من سامراء موصوفاً بالحسن سماه المعشوق . ان آثار هذا القصر شاخصة اليوم وقد بنى على مرتفع يقع على الجهة الغربية للشارع العام الذى يربط بغداد بالموصل . لقد كان هذا القصر متين البنيان تحيط به الأبراج الضخمة التى لا يزال الكثير منها قائما وقد جعلته هذه الأبراج أقرب الى القلاع منه الى القصور (اللوحة رقم ٣٨) .

ان قصر العاشق هو آخر الأبنية المهمة التى شيدت فى سامراء اذ لم تمض سنتان على بنائه حتى ترك الخليفة المعتمد على الله سامراء نهائيا وأعاد مقر الخلافة مجدداً الى بغداد .

المدرسة المرجانية(*)

(جامع مرجان)

بنى هذه المدرسة الخواجة أمين الدين مرجان فى أواخر سلطنة الشيخ حسن وكيلت سنة (٧٥٥ هـ) فى أواخر سلطنة أويس ٠

وقبل أن يبنى مدرسته ألقى نظرة على ما هنالك من المدارس كالمستنصرية والمعتصمية والنظامية ، وقد دون وقفية على جدران مدرسته لتبقى خالدة ٠

وقد بناها رصينة لتقاوم عوادى الزمن وهى مربعة الشكل عدا زاويتها الشمالية فقد جعلت مبتورة (اللوحة رقم ٣٩) ٠

وقد بنيت من طابقين يصعد اليها من أربعة سلالم تقوم فى زواياها واستعملت علياتها وغرفها لسكنى الطلاب وضرورياتهم ومصلى واسع بارتفاع طابقين ، سقف بثلاث قباب أعظمها أوسطها يتلقى الطلاب دروسهم فيه ويؤدون فرائضهم من الصلواة عدا الجمعة فان فيه محراباً بلا منبر ويقابل المصلى ايوان فخم للمدرسين كما يقابل المدرسة مدفن مرجان ٠

وتربة هذا المدفن غفل من الكتابات والزخارف وهى مناظرة للباب مما يدل على أنها كانت من الحجر العادية ، ولما توفى مرجان ودفن فيها بنيت عليه القبة وهى بشكل جميل مضلع منها زخارف من الكاشى الملون وكذا المأذنة الى يسار الداخل عند الباب وقد استعملت أخيراً مسجداً تقام فيه الجمع ، وتعد المدرسة من الأبنية الفريدة من نوعها فى العراق ٠

أما زخارفها فمكونة من أشكال هندسية مختلفة الأنواع والحجوم والقليل منها مكون من أزهار ، وجميع الكتابات حفرت بين شبكات من الزخرفة الزهرية والهندسية ٠

ولم تكن الزخارف معروفة سابقا فقد كانت مغطاة بطبقة من الجص ولم

(*) بقلم الأستاذة مهاب البكرى ــ ملاحظة الآثار ٠

تحدث فيها اصلاحات عدا ما قام به سليمان باشا الكبير سنة ١٢٠٠ ه وحدث ترميم آخر فى أوائل القرن الرابع عشر .

وقد بنى مرجان مدرسته من فواضل صدقات والدة الشيخ حسن ثم أوقف عليها من عنده الا أنه لم يبق لدينا من جميع تلك الموقوفات الا أسماؤها .

أما النصوص الموجودة فى المدرسة المرجانية فكثيرة ، منها ماكتب على جبهة الباب من الخارج ، والكتابة التى كانت فى ايوان البئر والمعروضة الآن فى القصر العباسى ، والكتابة على الكاشى فى جبهة باب المصلى والتى فوق مدخل المصلى فى الطابق الأعلى والكتابة التى على جبهة السلم اليمنى من مدخل المصلى والتى على جبهة السلم لجهة اليسار وفيما يلى الوقفية المثبتة فوق المحراب :

« ١ - بسم الله الرحمن الرحيم .

٢ - الحمد لله الذى وفق المطيعين لعمارة أبنية بيوت العبادات وألهم المخلصين باسادة أعمدة دور الطاعات ورفع ذكر ..

٣ - الولاة بتأسيس قواعد معالم المكرمات ، ودل أرباب السعادات على سلوك سبل الخيرات ومنح المحسنين بتشريف « ان الحسنات يذهبن السيئات » وحباهم بما له « ان المتصدقين والمتصدقات » ..

٤ - والصلوة على نبى الرحمة محمد المصطفى خير الأنام وأصحابه مصابيح الدجى وبدور الظلام ، أما بعد فيقول المفتقر الى عفو الملك المنان مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن بدل الله سيئاته حسنات : انى هاجرت ..

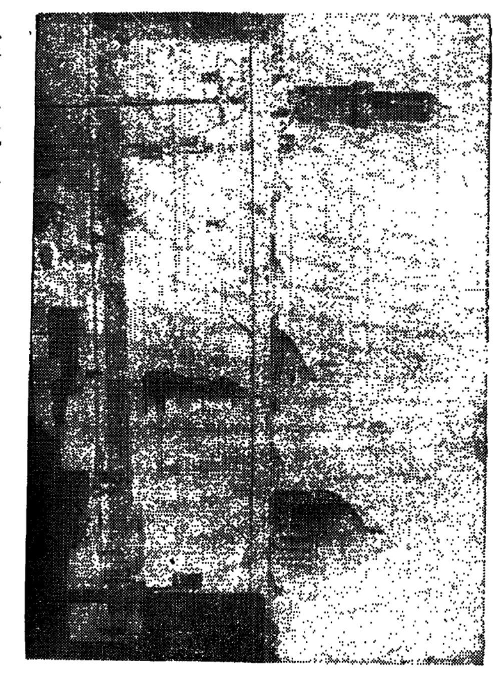
٥ - فى الأرض مدة وجاهدت سنين فى الطول والعرض ذات شمال ويمين متورطاً فى مخاوف البر والبحر حين أدانى الجد الصاعد وأدنا من التوفيق المساعد فعلمت أن الدنيا دار الفرار وأن الآخرة هى دار القرار وأيقنت أن أولى ..

٦ - ما أنفقت فيه الأموال وأحرى ما توجهت اليه هم الرجال ما كان

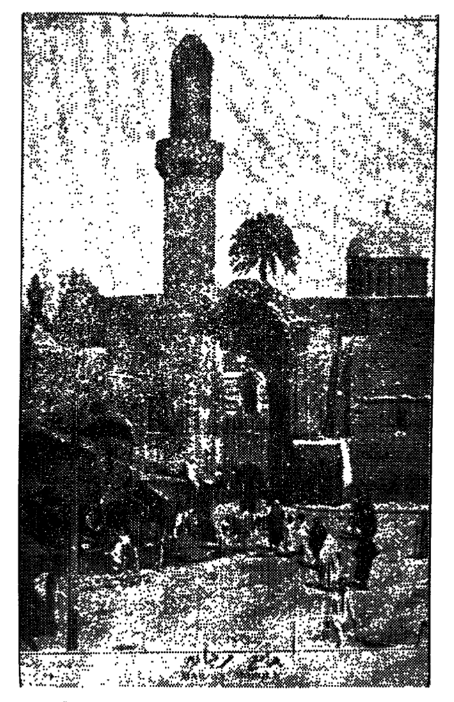
وسيلة الى أبواب رحمته محط الرحال وذخيرة ليوم المحاسبة والسؤال، قال النبى عليه الصلوة والسلام اذا مات الانسان انقطع عمله الا عن ثلث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له والصدقة الجارية ..

٧ - هى الوقف فشمرت عن نية صادقة وسريرة للخير وافية وشرعت فى عمارة هذه المدرسة المشهرة بالمرجانية وتوابعها المتصلات بعضها بالبعض فى زمان المخدوم الأعظم الدارج الى جوار الله المستريح على أعلى غرفات جنانه ؛ شيخ حسن ندبان أنار الله برهانه وتمت فى أيام دولت » .

ثم هدمت المدرسة المرجانية فى منتصف الأربعينات الماضية وأقيم فى موضعها مسجد آخر .



اللوحة رقم ٣٩ – منظر خارجي من جهة شارع الرشيد للمدرسة المرجانية (جامع مرجان) .



اللوحة رقم ٤٠ ـ منظر خارجي للمدرسة المرجانية ٠

العتبات المقدسة فى العراق (*)

لواء كربلاء

١ ـــ المشهد ـــ النجف الأشرف :

كانت كلمة المشهد هى السائدة لتعريف قضاء النجف أهم أقضية لواء كربلاء وذلك لوجود ضريح الامام على رضى الله عنه فيه•والنجف ـ هو (الظهر المتصل بالكوفة والحيرة وينتهى الى الأرض المنخفضة وهى بحيرة النجف طولا ما بين الدير والثوية عرضاً) ويقع القبر الشريف على طرف النجف خارجاً عنه أو قريباً منه كما يقول ياقوت (ان النجف قريب من قبر أمير المؤمنين على رضى الله عنه)• وازدادت أهمية النجف كمدينة عند ظهور القبر الشريف بعد خفائه زمناً طويلاً فازدادت العمارة حول القبر المقدس سنة ١٧٠هـ وسكن النجف بعض العلويين وأشياعهم ثم ازدادت العمارة بمرور الزمن وازداد السكان بحيث لم ينقض القرن الرابع الهجرى الا وأصبح تعداد السكان يربو على بضعة آلاف ، أغلبهم من العلويين وأتباعهم • وكان البويهيون هم أول من أسس قواعد الأضرحة فى العتبات المقدسة فى العراق فبنوها وأجروا الأموال عليها وفتحوا المدارس ثم تلاهم فى القرنين ٧ ، ٨ الهجريين السلطتان الجلائرية والايلخانية فى العراق حيث انهم بذلوا المزيد من الجهود والأموال فعمروا المدارس والمساجد والخانقاهات (التكايا) وأجروا اليها المياه وأمدوا أهلها بالأرزاق • (اللوحات ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢) •

٢ - فى مدينة كربلاء :

أ ـــ مسجد سيدنا الحسين :

ومدينة كربلاء هى مركز لواء كربلاء ، ولم تكن مدينة هامة قبل مرقد الامام الحسين بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم ، فأصبحت مدينة تاريخية مهمة تزار لوجود قبر حفيد النبى صلى الله عليه وسلم فيها ، ويقصدها مئات الألوف سنويا بقصد الزيارة والتبرك بالعتبات المقدسة ، ولقد دفن بها سيدنا الحسين على أثر استشهاده بواقعة كربلاء الشهيرة فى التاريخ العربى

الاسلامى فى العاشر من محرم سنة ٦١ هـ فى خلافة يزيد الأول بن معاوية ابن أبى سفيان .

وتبعد مدينة كربلاء حوالى ١٠٥ كم عن بغداد جنوبا . أما باقى الصحابة والقرابة المدفونين مع سيد الشهداء الامام الحسين فى نفس الضريح والمسجد فهم : ١ - ولده على الملقب بالأكبر ٢ - قبور الشهداء وهم الذين استشهدوا معه فى واقعة كربلاء كالقاسم بن الحسن وغيره ٣ - حبيب بن مظاهر من قبيلة بنى أسد ٤ - السيد ابراهيم الملقب بالمجاب ابن الامام موسى بن جعفر عليهم السلام . (اللوحات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧) .

ب - مسجد العباس :

وهو أبو الفضل العباس بن على بن أبى طالب رضى الله عنه من امرأة غير فاطمة الزهراء ، الذى دفن فى هذا المسجد بمفرده (اللوحات ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠) .

ج - مسجد الحر :

ويقع خارج مدينة كربلاء ببضعة كيلومترات يرقد فيه الحر بن يزيد الملقب بالرياحى نسبة لبنى رياح احدى القبائل العربية التى آزر بعض أفرادها الحسين فى معركة كربلاء واستشهد على أثرها .

لواء بغداد

١ - فى قضاء الكاظمية :

أ - مسجد الامامين موسى الكاظم ومحمد الجواد :

لم تكن مدينة الكاظمية الحالية مدينة بالمعنى المقصود وانما كانت مقبرة يطلق عليها سم (مقابر قريش) (ياقوت ج ٨ ص ١٠٧) فيها دفن بعض الخلفاء العباسيين والسادة الأشراف ، ويقول بعض المؤرخين أن السيدة زبيدة زوجة هرون الرشيد قد دفنت فيها ، ولما استشهد الامامان موسى بن جعفر ومحمد الجواد ، ودفنا فيها ولقبت بالكاظمية نسبة للامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق ، والامام محمد الجواد هو حفيد الامام موسى بن جعفر لأن والده على بن موسى الملقب بالرضا قد دفن فى مدينة مشهد من أعمال خراسان فى ايران (اللوحتان ٥١ ، ٥٢) .

ب ـ المسجد الصفوى :

يقع خلف المسجد المتقدم ذكره تماماً ومتصل به جامع يدعى اليوم باسم الجامع الصفوى ومن الأرجح أن الصفويين الذين حكموا فى العراق لفترة من الزمن هم الذين قد ابتنوه ولذا أقترن باسمهم • وهو جامع واسع بدورين وهو من الآثار التى تستوجب المشاهدة من الناحيتين الفنيتين المعمارية والزخرفية وكذا التاريخية أيضاً •وقد جدد فى زمن السلطان سليم العثمانى•

جـ - مسجد أبى يوسف :

وهو أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم القاضى (المسعودى ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر مجلد ا ج ٣) وقد طلب منه الخليفة هرون الرشيد أن يضع له كتاباً فى الخراج فوضع كتابه الشهير « الخراج » ضمنه مختلف الطرق وآراءه فيها ، ولقد خلع عليه الرشيد بأن عينه بمرتبة قاضى القضاة اكراماً له ، وهذا المسجد له مدخل يفتح بابه من صحن الامامين (موسى بن جعفر ومحمد الجواد) ، وله باب آخر يفتح على الشارع العام خارج الصحن •

فى قضاء الأعظمية

مسجد وقبر الامام أبى حنيفة (رضى الله عنه)

ويقع فى بلدة الأعظمية الواقعة شمالى بغداد بنحو ٣ كيلومترات وهو قضاء مهم من أقضية لواء بغداد • ويقع القبر فى ضريح واسع يحيط به صحن كبير ومدرسة هى كلية الشريعة الاسلامية الآن ، ويطل الصحن على الشارع العام وعلى فسحة جميلة واسعة. وبجواره جسر حديدى ثابت يسمى جسر الأئمة لأنه يوصل بين قضاء الكاظمية الذى فيه مرقدا الامامين موسى بن جعفر ومحمد الجواد وقضاء الأعظمية الذى فيه قبر الامام أبى حنيفة رضى الله عنه وكان الى جواره قبر آخر غير بعيد عنه هو قبر الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه الذى ربما أتى عليه نهر دجلة فجرفه•وكان شرف الملوك سعد بن منصور متولى مملكة السلطان ملك شاه السلجوقى هو الذى بنى قبر الامام أبى حنيفة رضى الله عنه فى سنة ٤٥٩ هـ (اللوحات ٥٣ ، ٥٤) •

والامام أبو حنيفة هو النعمان بن ثابت بن زوطى وولد فى الانبار ـ الكوفة وكان بها قزازا يبيع ثياب الخز (طبقات الفقهاء ـ لمولانا طاش كبرى زاده) وعرف باخلاصه وحسن معاملته ورقة حاشيته مع زملائه حسن الوجه والسيرة كان مولده رضى الله عنه سنة ٨٠ هـ فى خلافة عبد الملك بن مروان ووفاته سنة ١٥٠ هـ فى خلافة أبى جعفر المنصور فعاصر الخلافتين الأموية والعباسية وقد درس الفقه فبرع فيه وألف وصنف وكان يقنع خصومه بقوة دراسته وبالغ حجته .

مركز قضاء بغداد

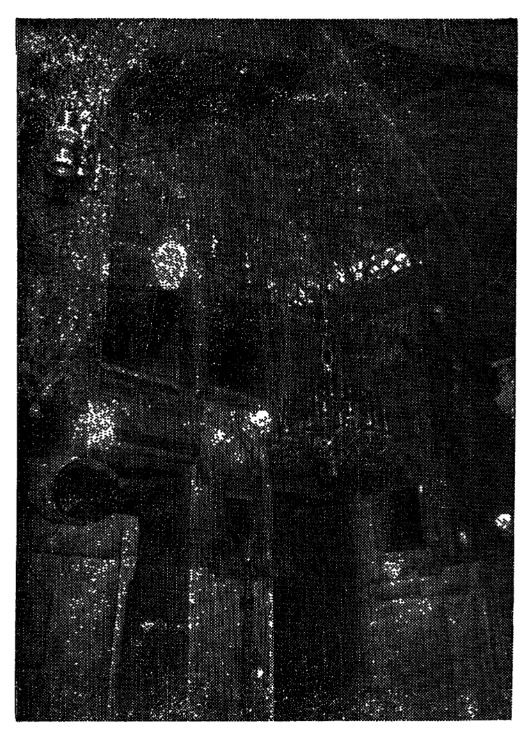
فى ناحية سلمان باك

مسجد ومرقد سلمان الفارسى وحذيفة اليمانى وعبد الله الأنصارى رضى الله عنهم .

تبعد هذه الناحية « سلمان باك » نحو ٣٠ كيلومترا عن بغداد جنوباً وتقع على ضفة دجلة باليسرى.وكلمة باك فارسية الأصل تعنى النظيف فيكون المعنى الكامل سلمان النظيف بعد اسلامه على يدى رسول الله ، والثلاثة هم من الصحابة الكرام . وهناك مواسم خاصة لا سيما فى فصل الربيع حيث تخرج جماعات كثيرة لزيارة هذه القبور فى مواكب شعبية تتغنى بأهازيجها الوطنية حيث تستقبل فصل الربيع فى معيشتها هناك فى خيام أعدوها لهذه الغاية بضعة أيام ، أما المرقدان الأخيران (حذيفة بن اليمانى وعبد الله الأنصارى رضى الله عنهما) فقد كانا فى نفس مدينة بغداد ولكنهما نقلا الى مرقديهما فى سلمان باك فى سنة ١٣٥٠ هـ . (اللوحة رقم ٥٥) .

مسجد وقبر الشيخ عبد القادر الجيلانى :

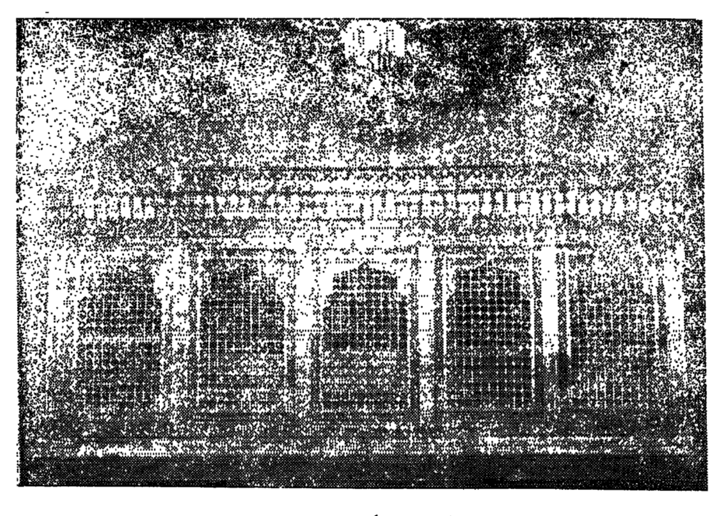
هو الشيخ أبو محمد الجيلى الحنبلى المشهور بالزهد والتقوى المتوفى سنة ٦٥١ هـ ويقع مسجده فى المحلة المعروفة باسمه من بغداد وفيها ضريحه . (اللوحة رقم ٥٦) .



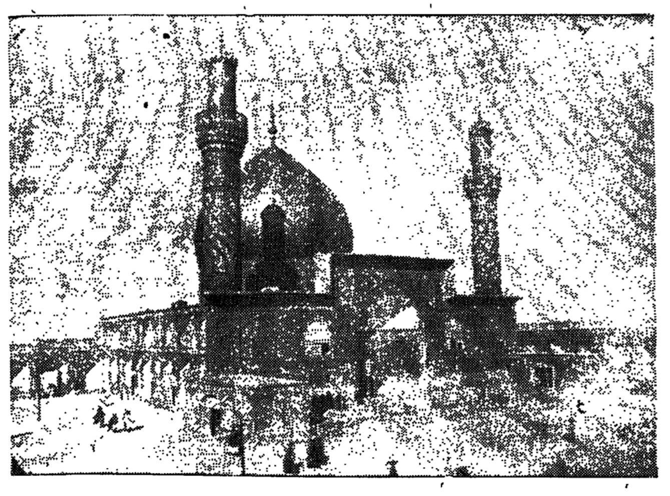
اللوحة رقم ٤١ ـ منظر داخلي في جامع الامام علي رضي الله عنه .



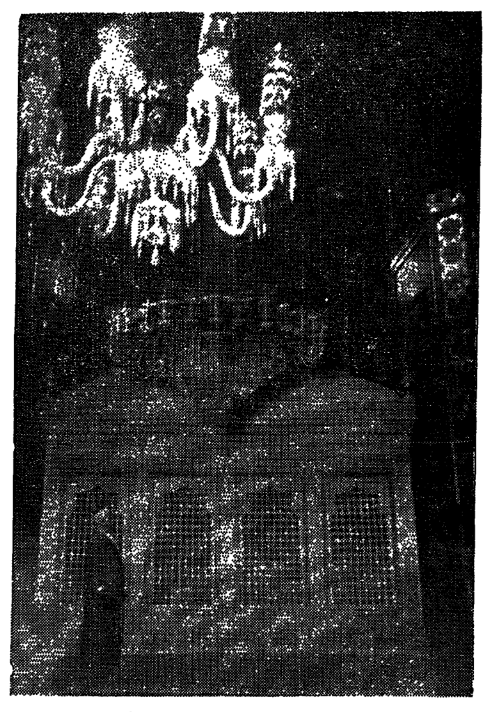
اللوحـة رقم ٤٢ ـ منظـر داخلى فى جامع الامام على ، قرب الضريح
وتظهر فيه بعض الزخارف ٠



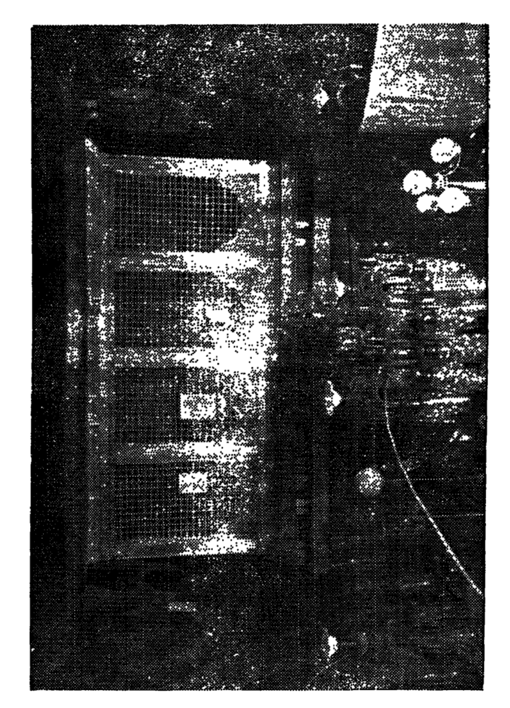
اللوحة رقم ٤٣ ـ شبكة ضريح الامام على .



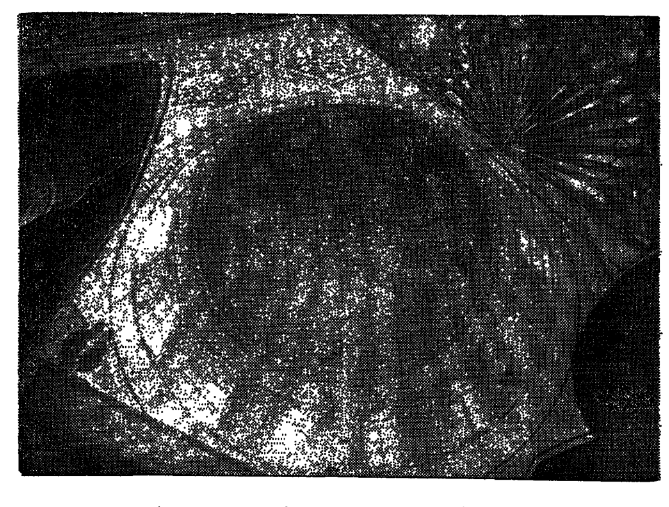
اللوحة رقم ٤٤ ـ منظر عام لمرقد الامام الحسين .



اللوحة رقم ٤٥ ـ شبكة ضريح الامام الحسين •



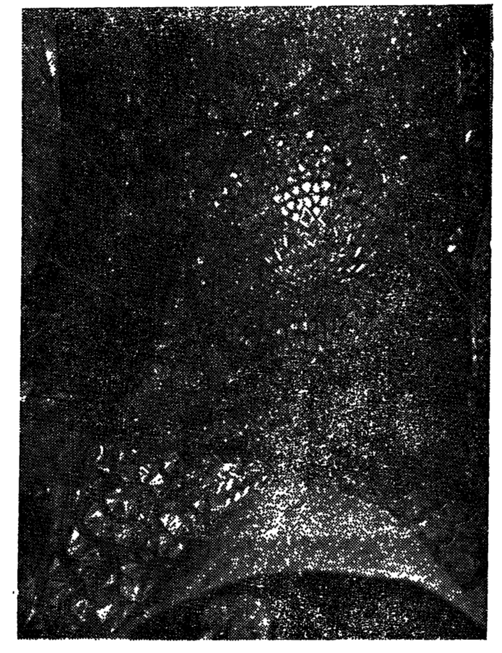
اللوحة رقم ٤٦ – شبكة ضريح الامام الحسين .



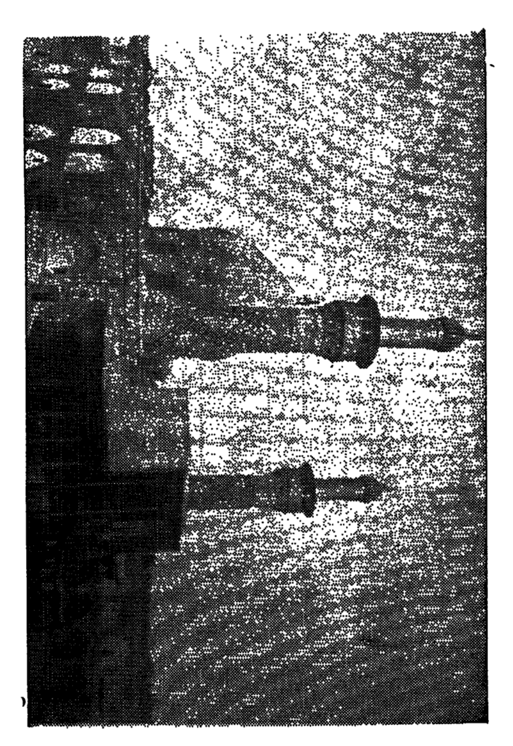
اللوحة رقم ٤٧ — منظر داخلى لزخرفة القبة فى المشهد الحسينى .



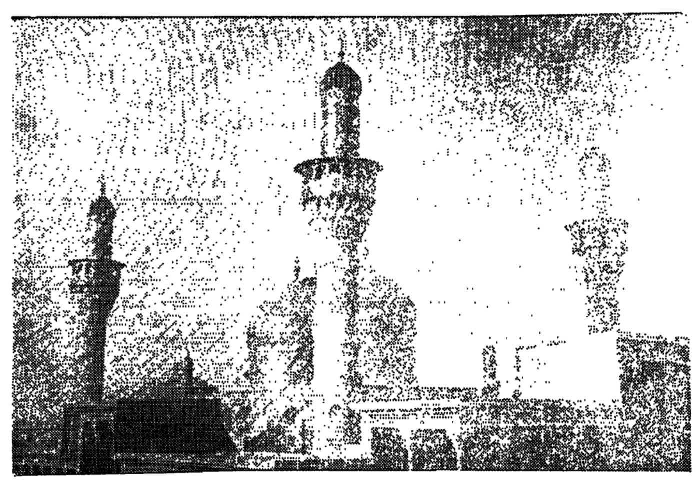
اللوحة رقم ٤٨ – بعض أواوين مسجد الامام العباس



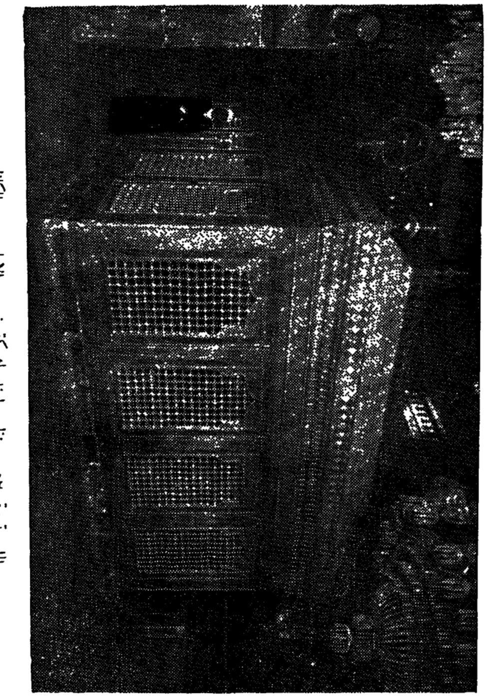
اللوحة رقم ٤٩ ـ منظر داخلى لزخرفة القبة فى مسجد الامام العباس.



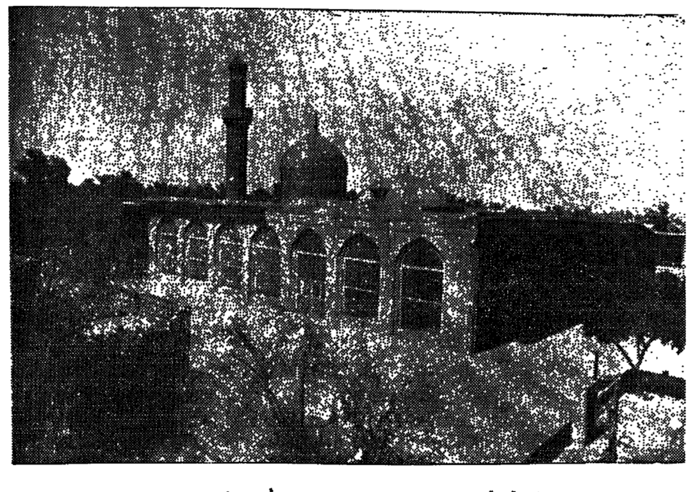
اللوحة رقم ٥٠ – منظر عام لمسجد الامام العباس .



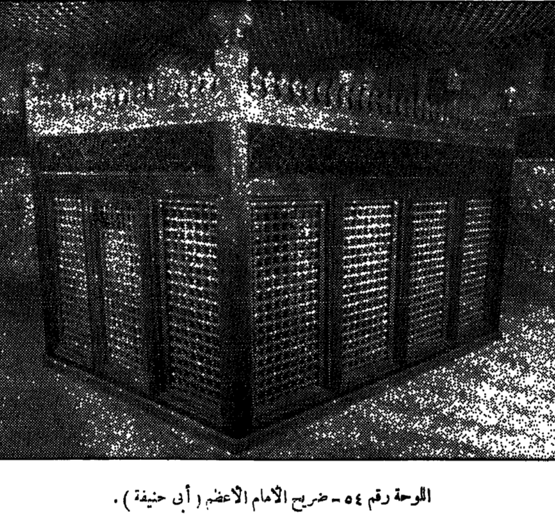
اللوحة رقم ٥١ ـ منظر عام لمرقد الامام موسى الكاظم •



اللوحة رقم ٥٢ – منظر داخلي لشبكة ضريح الامام موسى الكاظم .



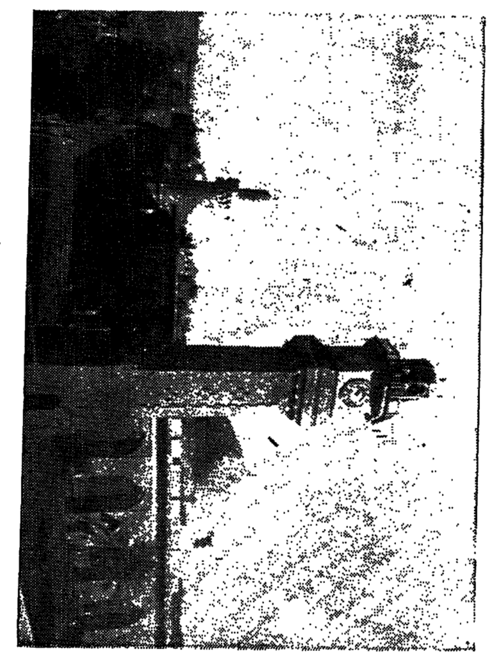
اللوحة رقم ٥٣ ـ منظر عام لمسجد الامام الأعظم (أبى حنيفة) •



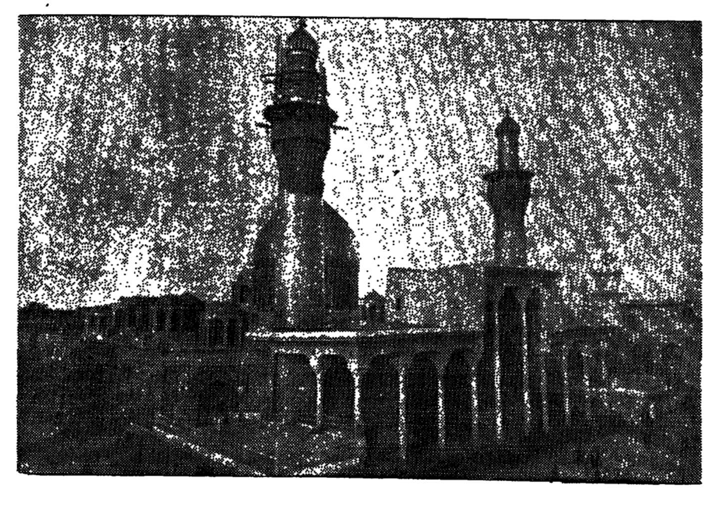
اللوحة رقم ٥٤ - ضريح الامام الأعظم (أبي حنيفة) .



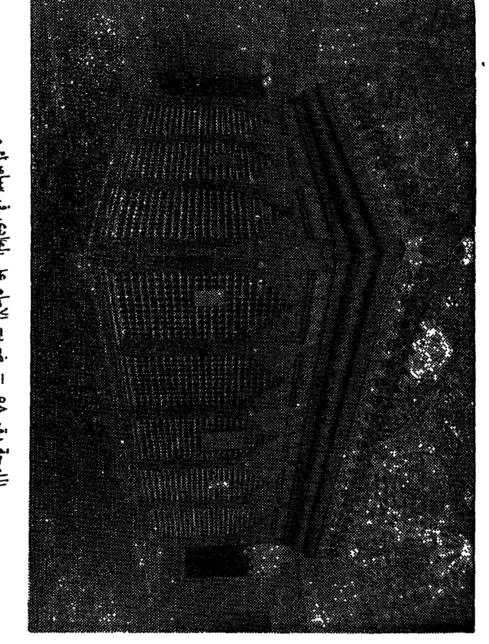
اللوحة رقم ٥٥ – مرقد الصحابي سلمان الفارسي .



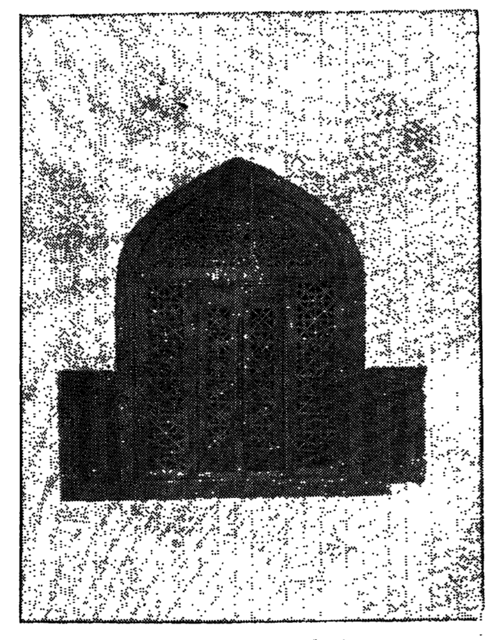
اللوحة رقم ٦٥ – مرقد الشيخ عبد القادر الجيلاني .



اللوحة رقم ٥٧ ـ مرقد الامامين فى سمرراء •



اللوحة رقم ٥٨ – ضريح الامام علي الهادي في سامراء .



اللوحة رقم ٥٩ ـ باب الغيبة

قضاء سامراء

وتقع سامراء على الضفة اليسرى من دجلة فوق بغداد بنحو ١٢٠ كم وفي مسجدها :

١ ـ على الهادى .

٢ ـ الحسن العسكرى .

٣ ـ مزار المهدى (صاحب الزمان) .

فى الحقيقة ان هذا المسجد يتكون من مسجدين واسعين لكل منهما صحنه وضريحه ولكن لا يوجد فاصل يفصل بينهما اذ تستعمل الأضرحة بكافة أروقتها للصلاة فى الشتاء بينما يستعمل الصحن للصلاة صيفاً وذلك نسبة لمناخ العراق القارى الجاف ، وهذه هى العادة المتبعة فى كافة العتبات المقدسة وحتى فى كافة الجوامع والمساجد فى العراق وغيره (اللوحة رقم ٥٧) ويرقد فى المسجد الأول :

١ ـ الامام على الهادى بن الامام محمد الجواد .

٢ ـ الامام الحسن العسكرى بن الامام على الهادى (اللوحة رقم ٥٨).

٣ ـ السيدة حليمة ابنة الامام محمد الجواد .

٤ ـ السيدة نرجس (نكز) زوجة الامام الحسن العسكرى .

وفى المسجد الثانى سلم حجرى به باب خشبى يؤدى الى فسحة صغيرة فممر يؤدى الى باب به فتحة فى الأرض تحوى سلماً الى ممر تحت الأرض يعرف بباب الغيبة (اللوحة رقم ٥٩) .

الكوفه(*)

من المدن التاريخية المهمة التى اشتهرت فى أوائل العصر الاسلامى مدينة الكوفة القديمة التى اسسها العرب بعد فتحهم للعراق فى صدر الاسلام وبقيت لمدة غير قصيرة عاصمة للبلاد فى عهد الخلفاء الراشدين ومركزاً ادارياً فى النصف الأول من العصر الأموى وفيها عسكرت الجيوش الاسلامية التى قضت على دولة فارس فى العراق وفيها أنشأ سعد بن أبى وقاص مسجدا جامعا وأول دار للأمارة سنة ١٧ هـ (٦٣٨ م) ثم اتخذها الامام على عاصمة له بعد انتقاله من الحجاز الى العراق فالكوفة القديمة على هذا تضم أقدم المعالم العمرانية الاسلامية وتحتوى على بقايا مندثرة أثرية شيدها العرب عند فتحهم العراق . وكان تخطيط المدينة بواسطة علامات تؤشر برمى السهم مبتدأ بالمسجد أولا وتليه دار الامارة التى تقع فى جنوب المسجد وخصص ماوراء العلامات الى القبائل وأهل الحرف .

وتقع الكوفة الحالية فى غرب الفرات يربطها بالضفة الضفة الشرقية جسر حديث ويمكن الوصول اليها من بغداد بالطريق المار بالحلة بنحو ساعتين ونصف بالسيارة. وعلى بعد نصف فرسخ من الفرات وفى الجنوب الغربى من الكوفة الحديثة تقع أطلال مدينة الكوفة القديمة مبتدأة بالجامع ودار الامارة، وعلى جانبى طريق الكوفة-النجف حتى نهر كرى سعدة والى ماوراء كرى سعدة. ولقد قامت مديرية الآثار العامة بحفريات منظمة فى مواسم مختلفة فى موضع دار الامارة الواقعة أطلالها فى جنوب المسجد وكشفت أثناء التنقيب عن مخطط الدار بأدواره المختلفة وتعرفت على علاقة الدار بالمسجد القديم (اللوحة رقم ٦٠) وتتكون الدار من سورين ، خارجى سميك وواسع وداخلى . ويضم السوران أقسام الدار . ويحتويان على أبراج نصف دائرية ومداخل رئيسية فى الضلع الشمالية من المخطط ، ونلاحظ أن القسم الذى يضمه السور الداخلى مقسم الى ثلاثة مستطيلات فى كل منها مجموعة من الدور أو المرافق . ففى المستطيل الأول تقع الساحة الوسطى (رقم ٩١) والباب الرئيسى (٧٩) والمجاز والبهو

(*) بقلم الأستاذ محمد على مصطفى — الملاحظ الفنى .

(٨٣) والغرفة المضلعة (٣٤) التى كانت فى الأصل تحمل القبة • أما المستطيلان الجانبيان فيضمان بقية الدور والمرافق الأخرى من مخازن وحمامات (اللوحة رقم ٦١) وشيدت جميع هذه المرافق بالآجر المشوى والكلس وأحياناً بالنورة والرماد وأبعـاد السور الخارجى من الداخل نحو ١٦٩ × ١٦٨ متر وسمكه أربعة امتار وأبعاد السور الداخلى ١١٠ × ١١٠ متراً من الداخل وسمكه نحو مترين وتدل بقايا الآثار المكتشفة أثناء التنقيب على أن الدار كانت مزينة بالنقوش الملونة وبزخارف السقوف التى كانت شائعة فى ذلك الزمن • وتبين كذلك أن الدار كانت منعزلة عن المسجد غير أنها الحقت بالمسجد بضلعها الشمالية التى أصبحت جدار الجانب الجنوبى للمسجد •

وتقع تحت المسجد الحالى بقايا جدار المسجد القديم حيث أن المسجد الحالى شيد تماماً على ما تبقى من جدار المسجد القديم وبقيت جميع أروقته وأساطينها مع التيجان مدفونة فى النقض تحت أرضية المسجد الحالى • وأن المسجد القديم كان فى زمن زياد بن أبيه مكوناً من خمسة بلاطات فى الجانب القبلى وبلاطتين فى سائر الجوانب وكانت هذه البلاطات على أعمدة من السوارى المصنوعة من الرخام المنحوتة قطعة فوق قطعة مفرغة بالرصاص ، وقد وصفه ابن جبير فى رحلته وكذلك وصفه ابن بطوطة •

أما المسجد الحالى فهو مربع الشكل تقريباً أضلاعه على التوالى ١١٠ و١١٦ و ١٠٩ و ١١٦ متراً ويتصل بالجانب الشرقى بساحة كبيرة تعرف ببيت مسلم وتحتوى على مرقد مسلم بن عقيل وهانىء بن عروة وفى الجانب الغربى ساحة كبيرة تضم خاناً شيد للزوار وتحيط بساحته أواوين وغرف فى الجوانب الثلاثة ورواق واحد على طول الضلع الجنوبية (جهة المصلى) وفى الصحن عدة محاريب وتعرف عند العامة بالمقامات (اللوحة رقم ٦٢) وفى الساحة سرداب ينزل اليه من درج يعرف باسم « السفينة » أو « التنور » وكذلك مدخل ومخرج بسرداب آخر يعرف باسم « بيت الطشت » ولعل أرضية السرداب الأول هى بمستوى أرضية المسجد القديم •

وللمسجد مئذنة فى الزاوية الشمالية الغربية حديثة البناء كما أن المدخل يقع فى الضلع الشمالية بجانب المئذنة • ويتألف المدخل من عقد مدبب تحيط

به زخرفة آجرية هندسية الشكل ويعلو سطح المسجد سور عال ذو أبراج نصف دائرية وارتفاع السور والأبراج نحو ٢٠ متراً .

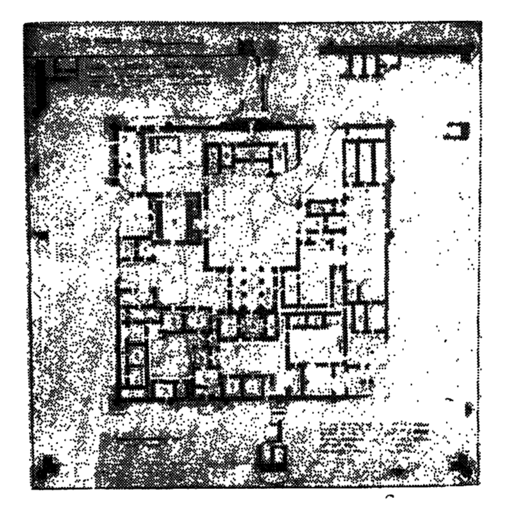
ويمكن معرفة سعة مدينة الكوفة من الأطلال المتناثرة حتى كرى سعد جنوباً وعلى بعد كيلومترين من كرى سعد نحو الجنوب تقع أطلال تعرف بالحيرة مع العلم أنها لا تمت الى الحيرة بصلة وما هى الا امتداد للكوفة من قصور شيدت فى العصر العباسى .

ويشاهد الآن منخفض واسع يعرف بكرى سعد ويمتد من أطراف كربلاء آتيا من لواء الدليم ومارا بالكوفة ومتجهاً نحو الجنوب باتجاه الحيرة الحالية . وكذلك يشاهد فى الجانب الشمالى الغربى عند نهاية أطلال الكوفة مسجد قديم يعرف بمسجد السهلة . وعلى يسار الطريق الذاهب نحو النجف مرقد ميتم التمار . وتوجد دار بجانب سور دار الامارة من الغرب تعرف لدى العامة ببيت الامام على ، وشيدت هذه الدار فوق بقايا دار قديمه كانت فى الأصل لصق سور دار الامارة فى الجانب الغربى ولعلها كانت الدار التى سكنها الامام على رضى الله عنه .

اشتهرت مدينة الكوفة بمدرستها الخاصة بآداب وعلوم العربية وكانت تضاهى مدرسة بغداد والبصرة الا أنها كانت تعد من أرسخ المدارس فى مجال اللغة والفقه والقضاء واشتهرت كذلك بالخط العربى المعروف (بالخط العربى الكوفى) الذى أصبح من أهم عناصر الزخرفة فى نقوش العمارة الاسلامية حيث زينت به واجهات المحاريب والعقود والكتائب . وكانت المسكوكات تنقش بالخط الكوفى حتى سنه ٦٢١ هجرية .

واشتهرت مدينة الكوفة بتجارتها الواسعة حيث كانت ميناء مهماً تصدر منه الحاجات والحبوب الى البادية الغربية القريبة منها بواسطة القوافل . وتستورد الغلة على أنواعها من سواد العراق بواسطة السفن الشراعية ، وكان يربط المدينة بالضفة الشرقية جسر يذهب طريقه نحو المدائن وبغداد وسائر المدن العراقية الواقعة فى الجانب الشرقى من الكوفة .

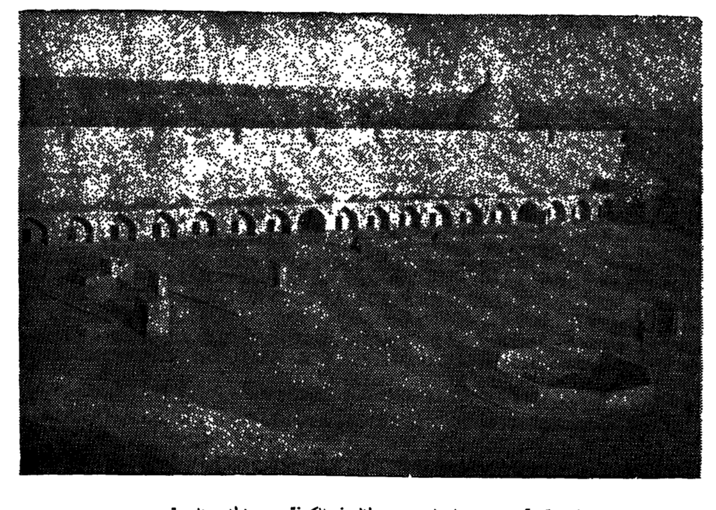
وقد تخربت مدينة الكوفة فى القرن السابع الهجرى .



اللوحة رقم ٦٠ ـ مخطط عام لحفريات دار الامارة في الكوفة .



اللوحة رقم ٦١ ـ حفائر دار الامارة ـ من الجانب الشرقى ، ويرى فى الشمال جدار القبلة للمسجد الحالى وأبراجه ، وكذلك جدار ساحة بيت مسلم ، ويلاحظ فى الوسط مرافق الدار والحمامات .



اللوحة رقم ٦٢ ـ منظر للمسجد الحالى فى الكوفة ، من الجانب الشرقى .

جامع الشيخ عمر السهروري (*)

من مساجد بغداد ، ويقع ضمن المقبرة الوردية القديمة بجوار البـاب الوسطاني وهو باب الظفرية ؛ من أبواب سور بغداد الشرقية ، وفي سنة ١٢٧٣هـ (١٨٥٦ م) عمر هذا الجامع اسماعيل باشا والي شهرزور . وفي سـنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) أعيد بناء أجزاء منه كانت قد أوشكت على الانهيار وشيدت له منارة بالكاشي الملون البديع ويحتوى هـذا الجـامع على قبر لفقيـه من فقهاء الشافعية المجتهدين وهو الصوفي الشيخ شهاب الذين عمر السهروردي ، صاحب كتاب (عوارف المعارف) .

ولد الشيخ السهروردي سنة ٥٣٩ هـ بمدينة (سـهرورد) الواقعة قرب زنجان وتخرج على يده كثير من علماء الصوفية . وتوفي في بغداد سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٤ م) .

ويشاهد الزائر اليوم على قبره قبة من الطراز السلجوقي . وفوق مدخل القبة كتابة تدل خلاصتها على أن غياث الدين محمد بن رشيد الدين جدد عمارة المسجد وكان التجديد سنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٤ م) .

(*) بقلم الأستاذ كمال منصور عبادة .

الجامع النورى (*)

فى سنة ٥٦٦ دخل نور الدين زنكى الموصل ، ليقرر قواعد ملك ابن أخيه سيف الدين غازى (٥٦٥ - ٥٧٦) وبعد أن وطد الأمر رأى أثناء اقامته بالموصل أن الجامع الأموى على سعته يضيق بالمصلين ، فاقترح عليه معين الدولة عمر بن محمد الملاء أن يبنى جامعاً فى وسط أسواق مدينة الموصل ، على خربة كانت هناك ، ففوض نور الدين اليه الأمر وأمره ببناء الجامع،فاشترى الشيخ عمر الخربة مع ما حولها من الحوانيت بأوفر الأثمان ، وكان يملأ تنانير الجص بنفسه ، واختار لعمارته أمهر البنائين والنحاتين والصناع وانتهى من عمارته سنة ٥٦٨ هـ . كما بنى به مدرسته لتدريس العلوم المختلفة لكى يجمع بين العلم والعبادة .

وفى سنة ٥٦٨ قدم نور الدين الموصل ثانية ورتب للجامع والمدرسة ما يلزمهما ، وأوقف لهما ما يكفى لادامتهما والنفقة عليهما ، وعين الشيخ عماد الدين أبا بكر النوقاتى مدرساً وخطيباً فى الجامع - وكان الجامع من من الجوامع المعدودة فى بلاد الجزيرة قال عنه أبو شامة المقدسى « اليه النهاية فى الحسن والاتقان » . وفى سنة ٦٦٠ دمرت الموصل على أيدى التتر فأهمل أمر الجامع .

وفى أوائل القرن التاسع للهجرة دخلت الموصل تحت حكم دولة آق قوينلى - وكان منهم السلطان حسن الطويل (ازون حسن) فرمم بعض أقسام المصلى . وكتب لوحاً جاء فيه « بسم الله الرحمن الرحيم جدد هذا الطاق المبارك من انعام السلطان الأعظم أبو النصر حسن ابن على نصره الله سنة واحد وثمانين وثمانمائة » .

ثم أهمل الجامع أيضاً وفى سنة ١١٥٠ هـ أشار الشيخ عبد الله الربتكى على الحاج حسين باشا الجليلى أن ينظف الجامع ويرممه ففعل هذا وفرشه وأقيمت به الصلاة ، وكان الشيخ الربتكى يدرس فى المدرسة وأخذ عنه علماء الموصل . وفى القرن الثالث عشر للهجرة (سنة ١٢٧١) رمم الجامع المرحوم

(*) بقلم الأستاذ سعيد الديوه جى - مدير متحف الموصل .

السيد محمد بن السيد جرجيس القادرى النورى واتخذ له فى الجهة الغربية منه تكية .

أما المصلى فانه دعم الأساطين الرخامية التى فيه بأقواس مبنية من الجص والحجارة كما وسع جدارنه الداخلية وهدم الأروقة التى كانت أمام المصلى ، ولم يتمكن من اعادة عمارتها ، ونقل اليه محراباً نفيساً من الجامع الأموى وصار الجامع من الجوامع المقصودة فى الموصل .

وفى سنة ١٩٤٤ هدمت المصلى مديرية الأوقاف العامة وجددت عمارته ، فأعادت فيه بناء بعض الأساطين الرخامية التى سلمت كما أعادت المحراب الذى كان قد نقل اليه من الجامع الأموى .

وأهم الآثار التى أدركناها فى الجامع :

١ ـ المنارة ـ وهى أطول منارة فى العراق يزيد ارتفاعها على ٥٥ م مبنية من الحجارة والجص ومزين ظاهرها بالآجر وتتألف من قسمين :

أ ـ القسم المنشورى وهو يتألف من مفشور رباعى قاعدته مبنية بالحجارة والجص ومزين بالآجر فى النصف الأعلى منه .

ب ـ القسم الأسطوانى الذى فوق هذا وهو مزين بزخارف آجرية ناتئة فى البناء ، تتألف من سبع وحدات تختلف كل وحدة منها عن بقية الوحدات يفصل بين كل وحدتين متتاليتين منها افريز من الزخارف الآجرية .

وللمئذنة سلمان يدوران فى باطنها أحدهما لا يرى الصاعد النازل منه ويدور أحدهما حول الآخر ويلتقيان فى أعلى المنارة . وتمتاز المنارة بارتفاعها وجمالها وتنوع زخرفتها وانها من أجمل الآثار الاسلامية فى الشرق .

٢ ـ المحراب الذى نقل من الجامع الأموى :

كان الاتابكيون قد جددوا عمارة الجامع الأموى سنة ٥٤٣ واتخذوا فيه محراباً جميلاً من الرخام . ولما رمم المرحوم الشيخ محمد النورى الجامع نقل اليه محراب الجامع الأموى (جامع المصفى) وثبته فى المصلى ، وهو من أجمل

المحاريب التى فى مدينة الموصل ـ فواجهة المحراب مزينة بزخارف هندسية بارزة يعلوها قوس فيه زخارف هندسية متشابكة ومتافرة مع بعضها ، وهى بارزة فى المرمر ، وتتألف من ثلاث طبقات بعضها فوق بعض ، وقلما نجد له شبيها فى الدقة والتناسق والابداع .

وحول المحراب كتابة تنتهى بالعبارة التالية « عملت هذه القبلة فى جمادى الأولى فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة صنعه سيف البغدادى » وقد أعيد الى الجامع بعد تجديده .

٣ ـ المحراب الذى كان فى فناء الجامع :

وهو من آثار نور الدين ، فقد أبدع النحات فى تزويقه وتزيينه بزخارف نباتية وهندسية بحيث تتعانق مع بعضها . وفى جانبى المحراب عمودان من المرمر عليها زخارف هندسية غائرة .

٤ ـ الشباك الجبسى :

وهو مزخرف بزخارف جبسية بارزة قوامها زخارف هندسية ونباتية متناسقة تشبه الزخارف التى فى الجامع .

٥ ـ المحراب الذى كان تحت القبة :

وهو المحراب الجبسى الوحيد الذى وصلنا من آثار القرن السادس الهجرى فى الموصل وتتألف زخارفه من سدف من الطاقات بعضها فوق بعض .

٦ ـ وكان يزين المصلى أساطين من الرخام فى أعلى كل أسطوانة منها تاج على شكل قيثارة ومكتوب على بعضها سورة مريم ، وقد أعيدت بعضها الى أماكنها كما أن أربعة منها اتخذت محرابين صغيرين فى المصلى الجديد .

مشـــهد
الامام يحى أبو القاسم*

بدر الدين لؤلؤة مملوك أرمني ، اشتراه الملك نور الدين أرسـلان شاه ابن عز الدين مسعود (٥٨٩ - ٦٠٧) واتخذه مديراً لأمور أولاده الصغار - وكان هذا يطمع في الملك ، فقتلهم واحداً بعد واحد . وفي سـنة ٦٣٠ هـ قتل آخرهم الملك ناصر الدين محمود بن نور الدين أرسلانشاه ، وقضى على البيت الأتابكي واستقل بملك الموصل . وكان يخشى اتباع الطريقـة العدوية التي أسسها عدي بن مسافر الأموي ، واتخذها من بعده الشيخ حسن العدوي وهو من دهاة عصره ستاراً لاعادة الملك الى بني أمية . ولاقت حركته اقبـالا كبيراً وخاصة عند الأكراد . وقاوم بدر الدين هـذه الحركة بحركة معادية لها ، وهي الميل الى آل البيت وحاول نشر المذهب الشيعي في الموصل ، وبنى فيهـا عدة مشاهد لأبنـاء الامام علي ، وزوقهـا وجعلهـا في غاية التنسـيق والفخامة والروعة - ومنها مشهد الامام يحيى بن القاسم .

كان في قلعة الموصل مسجد بناه الحسين بن سعيد بن حمدان بن حمدون التغلبي ، ودفن فيه بعد موته، وذلك في القرن الرابع للهجرة وقد بنى بدرالدين مدرسـة في هذا المسجد ، سميت بالمدرسـة البدرية ، وذلك قبـل أن يتولى أمر الموصل .

ولمـا تولى الملك واتخذ المشـاهد لآل البيت ، بنى مشـهدا للامام يحيى ابن القاسم بجانب المدرسة ، وذلك في سـنة ٦٣٧ هـ وبعد وفاته دفن في هـذا المشهد .

أما المدرسة فلم يبق من آثارها شيء وأما المشهد فلم يزل باقياً ، وهو من أجل البنايات الأتابكية التي سلمت من عوادي الدهر ، ويمتاز بما فيه من النقوش والكتابات المختلفة في الجبس والآجر والمرمر في داخل المشهد وفي ظاهره .

وقبة المشهد على شكل منشور ذي ستة عشر ضلعاً ، وتمثل جمال القباب

(*) بقلم الأستاذ سعيد الديوه جي - مدير متحف الموصل .

السلجوقية التى انتشرت فى بلاد الجزيرة فى القرنين السادس والسابع للهجرة، وهى تشبه القبة التى كانت فوق مصلى الجامع النورى والتى بنيت (٥٦٦ - ٥٦٨) كما انه بنى سنة ٦٤٦ ه قبة الامام ابن الحسن (الامام عون الدين) مثل قبة الامام يحيى ، وتمتاز قبة الامام يحى بأن جدرانها مزخرفة من الداخل بزخارف آجرية ، وكتابات داخل وحدات مربعة الشكل •

وتعلو الجدران مقرنصات جميلة مزخرفة بزخارف هندسية ونباتية دقيقة متناظرة ، وتستمر هذه المقرنصات الى أعلى القبة • والمناشير التى فيها مزخرفة بزخارف دقيقة أو ملونة بأصباغ ثابتة سوداء أو زرقاء أو حمراء •

ويعلو هذه القبة قبة أخرى يفصل بينهما فراغ ، وكان ظاهرها مزيناً بالآجر المزلج ، وقد سقط الكثير منه وغطى ظاهرها بالجص ، وهذه القبة هى التى حفظت القبة التى تحتها ، وما فيها من كتابات وزخارف ونقوش مختلفة •

كما أن واجهة الحضرة مزينة بوحدات مزخرفة فى الآجر المزلج ، ووحدات فيها كتابات كوفية على أرضية مورقة وهى البسملة واسم بانى القبة بدر الدين لؤلؤ •

وفى سنة ٧٣١ ه جدد بعض أقسام الحضرة الحاج ابراهيم بن على خادم الحضرة ، وأضاف الى القسم الأسفل من جدران الحضرة على ارتفاع (١٫٢٠ م) افريزا من الرخام الأزرق مطعم به كتابات بالرخام الأبيض يذكر أسماء الأئمة الاثنى عشر •

ونجد هذه الكتابات فى كافة المشاهد التى جددت بعد القرن الثامن للهجرة وتحت هذا افريز آخر مزين بأزهار وأوراق بارزة فى الرخام وهى من القطع الجميلة التى فى الموصل • وأهم آثار هذا المسجد :

١ - المحراب :

فهو موضوع فى الزاوية القبلية من الحضرة وهو مؤلف من قطعتين من الرخام الأزرق المائل للسواد ، وفوق المحراب قطعة من زخارف نباتية

وهندسية متداخلة مع بعضها ، ومتناظرة ، وهي بارزة في الرخام ، وتشبه الزخارف التي في محراب الجامع النوري . حفر في وسط المحراب قنديل كبير بارز بالرخام ، معلق بما يشبه السلسلة ، وعلى جانبي المحراب دعامتان يزين أعلاهما تاج زخارفه تشبه القيثارة - كما في بعض أساطين الجامع النوري - ومزين داخل هذا بزخارف دقيقة جميلة .

٢ - الصندوق :

وفي المشهد صندوق من خشب الساج ، أمر بصنعه بدر الدين لؤلؤ وهو من الصناديق الجميلة مزين بزخارف نباتية وزهرية ، وكتابات نسخية وكوفية وهو في غاية الدقة والجمال ومكتوب عليه أسماء الأئمة الاثنى عشر ، وآيات من القرآن الكريم .

ومكتوب عليه أيضاً : « هذا قبر يحيى بن القسم بن الحسن بن على ابن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين . تطوع بعمله العبد الفقير الراجي رحمة ربه لؤلؤ بن عبد الله ولى آل محمد سنة سبع وثلاثين وستمائة » .

٣ - وفي واجهة الحضرة كتابات جميلة وزخارف هندسية دقيقة في الآجر المزلج بزلاج لازوردى ، داخل وحدات وقد طمست معالم الكثير منها ولم يبق منها الا القليل .

ومرقد يحيى بن القاسم من أهم الآثار الاسلامية التي في الموصل ويمتاز بجمال بنائه وما فيه من زخارف ونقوش وكتابات مختلفة بعضها بالآجر والآجر المزلج ، والرخام المزخرف وزخارف جبسية .

دير الجب (*)

ويعرف بدير ماربهنام ، وهو من أقدم ديارات العراق وأجلها شأناً ، وما زال قائماً آهلا برهبانه .

يقع هذا الدير على بعد ٣٥ كيلو متراً جنوب شرقي مدينة الموصل ، في سهل خصيب بين دجلة والزاب الكبير ، على طريق السيارات الممتد بين الموصل والكوير . وهو يعود الى السريان الكاثوليك .

وقد نوه بعض الجغرافيين العرب القدامى بهذا الدير ، وممن وصفه منهم ياقوت الحموي في « معجم البلدان » ، قال في صفته : « دير الجب : دير في شرقي الموصل ، بينها وبين اربل ، مشهور يقصده الناس لأجل الصرع ، فيبرأ منه الكثير » .

و « بهنام » الذي نسب الدير اليه من أشهر قديسي الشرق ، عاش في القرن الرابع للميلاد . وله سيرة دونها بعض المؤلفين ، وقد نشرت بالسريانية والعربية .

أسس هذا الدير ، في أواخر القرن الرابع ، أو أوائل القرن الخامس للميلاد . على أن البناء الأول للدير قد طرأ عليه في مر العصور ترميم وتجديد وتوسيع .

ولهذا الدير كنيسة أثرية رائعة ، مشيدة بالرخام والحجر والجص والطابوق . وفي ظاهرها وباطنها كتابات سريانية وزخارف ونقوش على الرخام. وتكاد رقعة هذه الكنيسة تكون مربعة ، فأبعادها ٢٣ × ٢٠ متراً . ويحف بضلعها الغربية رواق فيه واجهة الكنيسة المزخرفة .

وللكنيسة أبواب رخام فخمة تحيط بها كتابات وزخارف بارزة ، وفي الكنيسة ذاتها كتابات جدارية عديدة ، معظمها بالسريانية بعضها مؤرخ ، وأقدم المؤرخ منها يرقى الى سنة ١١٦٤ للميلاد .

(*) بقلم الأستاذ سعيد الديوه جي .

وفى ضريح مار بهنام الذى فى « الجب » المجاور للدير ، كتابة ايغورية ، لعلها الكتابة الوحيدة المعروفة فى العراق بهذه اللغة .

انتابت هذا الدير بلايا ومحن كثيرة نالت منه ، فنهب وأقفر من رهبانه غير مرة .

ويحرز الدير اليوم مكتبة نفيسة حافلة بالكتب المطبوعة والمخطوطة ، وقد استجمع معظمها فى الأزمنة الأخيرة .

المعالم الأثرية

في

الجمهورية العربية اليمنية

المعـــالم الأثرية

فى الجمهورية العربية اليمنية

كان اهتمام الرحالة الأوربيين حتى أواسط القرن الثامن عشر للميـلاد مقتصراً على ارتياد أواسط الجزيرة العربية (مكّة والمدينة) بغية الاطلاع على ما يجرى هناك من الشعائر وما يقام من المراسـيم الدينيـة ، ومن أهم هؤلاء المستشرقين ل . فرتمـا . . . . . L. De-Vartma الذى زار مكة المكرمة سنة ١٥١٦ م .

ثم جاء بعده كثيرون ممن نشروا أوصافاً دقيقة للكعبة المشرفة ودراسات مطولة عن شـعائر الدين الاســـلامى ومناســـك الحج ، وفى مقـدمة هؤلاء باديا يى لبلخ Badiay Leblich (١٨٥٧م) الذى كان يسمى نفسه على بك العباسى .

ثم امتد اهتمام الباحثين فى الغرب الى جنوب الجزيرة العربية عندما اتسعت دائرة البحـوث الأثرية فى بعض المعـاهد ، وضـاعف من ذلك الاهتمام تلك الأقاصيص التى رواها المؤرخون العرب والرومان واليونان عن قصـة التوراة المتعلقة بالنبى سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ .

وكان لزيارة الرحالة الدانماركى كارستن نيبور «Carston Nicbuhr» (١٧٦١ — ١٧٦٧ م) أثرها الكبير فى تحفيز همم المستشرقين الآخرين : فما أن ظهر كتابه C. Nichbuhr : Beschre ibunguon Arabia سنة ١٧٧٢ وما تضمنه من معلومات أثرية ، حتى جعلتهم يتوافدون الى اليمن بحثاً وراء النقوش .

وبالرغم من المصاعب التى عانوها ومتاعب الأسفار التى تجشموها فقد نجح الكثير منهـم وعادوا بنتائج ذات فائدة كبرى ومعـلومات قيّمة ـ وسـاعد علىَ فحص هذه المعلومات وتمحيصها ونشرها وجـود نخبـة من الباحثين المختصـين

بدراسة لغةجنوبالجزيرةالعربية وآثارها،ومن أهمهم ج.ريكانز G. Rykmans
ورودوكاناكى N. Rhodokanakis وفيرتز هومل F. Hommel
وماريا هوفنر M. Hofner . و أ . جام A. Jamme
و ا . بيستون A. F. L. Beston
ومن أهم أولئك المستشرقين الذين زاروا اليمن ونقلوا آثارها الى الغرب بعد نيبور :

١ـالدكتورستزن U. F. Seetsen وقدزار اليمنسنة١٨١٠م(١٢٢٦هـ) ومن ذمـار أرسل الى لندن خمسة نقوش سبئيةوقد اختفى هذا المستشرق فى اليمن عندما توغل فى البلاد ولم يعرف مصيره •

٢ ـ ج • هوتن J. Huttun زار مأرب ونجران ، وتمكن من الحصول على ٦٨٦ نقشا استنسخ بعضها وحمل ما قدر عليه الى أوروبا •

٣ ـ الدكتور مـاكل الانكليزى Mackel زار اليمن سنـة ١٩٣٦م (١٢٥٢هـ) وحصل على خمسة نقوش سبئية حملهـا الى لندن وطبعت رحلتـه سنة ١٩٣٨م بعنوان (صنعاء عاصمـة اليمن) وقامت بنشرها الجمعيـة الملكيـة البريطانية للجغرافيا •

٤ ـ الرحالة البريطانى كروتندن ١٨٣٨ م (١٢٥٠ هـ) نشرت رحلتـــه سنة ١٨٣٨م بلندن بعنوان : (رحلة من المخاء الى صنعاء) •

٥ ـ الضابط الانجليزى كوغلان Coghlan ١٨٦٠م (١٢٧٧هـ) حصل على ٢٥ لوحة برونزية من عمران (١) •

٦ ـ يوسف هـاليفى J. HALEV وهو يهودى فرنسى بعثتـه أكاديميـة الفنون الجميلة فى باريس على رأس بعثة لجمع النقوش سنة ١٨٧٠م (١٢٨٦هـ) وقد تمكن أثر دخوله اليمن من الاندمـاج مع اليهود والتزيى بزيهم ، وبذلك استطـاع الوصول الى مـأرب وصرواح والجوف ونجران وبرفقته يهودى من صنعاء يدعى حاييم حبشوش •

---

(١) نشرت ترجمتها الحرفية فى كتاب (لغات اليمن القديمة) للمؤلف •

وقد عاد هاليفى الى باريس حاملا ٦٨٠ نقشا جمعها من سبعة وثلاثين مكانا فى اليمن ، ونشرت معلوماته الجغرافية والابيقرافية أكاديمية الفنون الجميلة فى باريس ، وتعد مجموعته من أهم المراجع لدراسة آثار اليمن المعينية والسبئية .

٧ — توماس يوسف أرناووط Thomas Joseph Arnaud وهو صيدلى فرنسى جاء الى اليمن كطبيب لبعض القواد الأتراك سنة ١٨٤٨م (١٢٥٩هـ) بمساعدة الأتراك تمكن من الوصول الى كثير من مناطق الآثار وأهمها مأرب وصرواح وقد استنتج منها ٥٦ نقشا سبئيا نشرتها المجلة الآسوية بباريس سنة ١٩٤٥م من ضمنها النقش المعروف بنقش حصن الغراب .

٨ — المستشرق النمساوى ادوارد جلازر Edward Glazer تردد الى اليمن أربع مرات ١٨٨٢ — ١٨٩٢م (١٣٠٠ — ١٣١٠م) وقد رافق فى رحلته الأولى كتيبة تركية أثناء زحفها من صنعاء الى السودة لمحاربة الامام الهادى شرف الدين ابن محمد سنة ١٨٨٢ م (١٣٠٠ هـ) ثم قام برحلة أخرى الى شبام وكوكبان وعمران وحجة وعثر على عدة آثار فى منطقة همدان وأرحب . وفي الرحلة الثانية زار ذمار ويريم ، كما زار فى الرحلة الثالثة والرابعة مأرب وصرواح والجوف وكان مجموع ما عثر عليه من الألواح الحجرية والبرونزية والنقود القديمة ما يزيد على ٧٥٠ قطعة ، أودع بعضها فى متحف برلين ، كما باع بعضها الى المتحف البريطانى ، وكانت مجموعته من أهم ما وصل الى أوربا من آثار اليمن . قال عنها هومل Hommel بانها فتحت عهداً جديداً للمعلومات عن اليمن العربية السعيدة .

٩ — سيجفريد لنجر Siejafred langer النمساوى ، قدم اليمن سنة ١٨٨٢ م (١٣٠٠ هـ) أى فى السنة التى وصل فيها جلازر للمرة الأولى . أودع مجموعته فى المتحف الشرقى بفينا وقد حاول الدخول الى اليمن مرة ثانية وكانت الحرب مشتعلة فيها أبان الغزو التركى فقتل غيلةً فى وادى (بناء) .

١٠ — كارل راثنز Carl Rathjens الألمانى ١٩٢٨ م (١٣٤٧ ﻫ)
وقد وصل اليمن كخبير فى اللاسلكى وتوجد مجموعته فى متحف فورلكار
كوندى بها مبرخ .

١١ — تشيزرى انسالدى Cesare Ansaldi الايطالى (١٩٣١ م)
وتوجد مجموعته فى المتحف الرومانى بروما (٢) وله كتاب Ll Yemin
نشرته وزارة المعارف الايطالية سنة ١٩٣٤ .

١٢ — الأستاذ المصرى أحمد توفيق : زار اليمن سنة ١٩٤٦ م (١٣٦٥ ﻫ)
وسنة ١٩٤٩ م (١٣٦٨ ﻫ) وقام بتصوير أكثر من ١٥٠ نقشا من آثار معين
وقد نشر مجموعته المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة سنة ١٩٥١ م ، بعنوان :
آثار معين فى جوف اليمن .

١٣ — الدكتور أحمد فخرى المصرى : زار مأرب وصرواح والجوف
سنة ١٩٤٧ م (١٣٦٦ ﻫ) وعثر على عدة نقوش نشرها فى كتابه :
«An Archealogical journy to yoman»

١٤ — الدكتورخليل نامى المصرى : أستاذ اللغات الشرقية بجامعة القاهرة .
زار اليمن مرتين احداهما سنة ١٩٣٦ والثانية سنة ١٩٥٢ . نشرت مجموعاته
كلية الآداب بجامعة القاهرة .

اهم المنـــاطق الأثرية فى اليمن

١ ـ آثار مملكة معـــين :

تعتبر منطقة (معين) بالجوف من أضخم وأقدم المناطق الأثرية فى اليمن فهى تضم الكثير من آثار دولة معين التى قامت فى القرن الرابع عشر قبـــل الميـلاد ، مدنهـا قصورها ، معابدها ، ومن أهم مدنها : معين وبراقش •

٢ ـ آثار مملكة سـبأ فى صرواح ومأرب ، وفيهما الكثير من المعـابد والهياكل والسدود •

٣ ـ آثار مملكة سبأ وذوريدان فى ظفار ، هكر ، موكل ، ذمار •

٤ ـ آثار امارة سـمعى حاشـد فى رنام ، ناعظ ، ريده ، عمـران ، خمر ، غولة عجيب •

٥ ـ آثار امارة سـمعى حصلان فى : حاز ، بيت غفر ، الحقة ، وادى ظهر ، تعبان •

٦ ـ آثار امارة سـمعى حجر فى شبام الغراس •

٧ ـ الآثار فى صنعاء وفيهان •

وفيما يلى بيانها على التوالى :

١ ـ آثار مملكة معين

معين ـ براقش

معين :

تبعد معين عن الحزم ـ مركز منطقة الجوف حالياً ـ مسافة ٥ كيلومترات شرقاً ، وكانت عاصمة المملكة المعينية (١٤٠٠ ـ ٩٥٠ ق.م) وبهـا سـميت المنطقة ، ويوجد بها بقايا سور ضخم وعدد من أطلال البيوت والمعابد ، وعلى بوابتها العديد من النقوش المطوّلة ، وتعتبر هذه النقوش بالاضـافة الى ما هو موجود بين أطلال المدينة المصدر الوحيد الذى يعكس لنـا صـوراً عديدة من تاريخ الدولة المعينية • نظمها ، وقصورها ، وأبراجها ، ومحافرها ، وآبارها •

وفى خارج المدينة وعلى مقربة من سورها يوجد بقايامعبـــد معينى، وفى اعتقادى انه أقدم معبد فى المنطقة ، وربما كان أقدم من معبد (المقة) فى صرواح بمئات السنين ولا تزال بعض أعمدته قائمة حتى اليوم .

وتشمل منطقة معين خرائب كثيرة أهمها على التوالى :

(١) معين (٢) براقش وقـد جاءت فى النقوش باسم « يثل » (٣) كمنا (٤) البيضاء « تنق » (٥) السوداء « نشأن » (٦) خربة على (٧) خربة مسعود.

وقد قام بجمع نقوش خربة معين نسخاً وتصويرا الأستاذ محمد توفيق الذى زار المنطقة سنتى ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ كمبعوث أثرى لجامعة القاهرة ويعرف كتابه بآثار معـين فى جـوف اليمن ، وقـد نشره المعهـد العلمى الافرنسى للدراسات الشرقية بالقـاهرة سـنة ١٩٥١ مع أبحاث للدكتور خليل يحيى نامى .

براقش :

ولا يزال سورها قائماً وقد تصدع فى بعض جوانبـــه ، ومنهـــا اسـتنتج الأستاذ محمد توفيق حوالى ١٦٠ نقشاً نشرتها كلية الآداب بجامعة القاهرة فى سلاسل متفرقة مع تراجم وتعليقات أخرى للدكتور خليل يحيى نامى .

والخرائب المعينية بما فيها براقش قد ظلت عامرة ــ كما يبدو ــ الى القرن الثالث الهجرى وفى براقش يوجد بقايا مسجد واطلال منازل مستجدة ، وقد أورد الهمدانى فى (الاكليل) الكثير من الأشعار والأخبار عن براقش ممــا يدل على انها ظلت كحاضرة للجوف الى زمنه .

وللوصول الى معين طريقان :

١ ــ الطـريق الصحراوية الشرقية وتبـدأ من : مأرب ــ رغـوان ــ خربة مسعود ــ خربة دريب ــ براقش ــ الحزم .

٢ ــ الطريق الشمالية الشرقية وتبدأ من : صـنعاء ــ ريدة ــ ذيبين ــ صنوان ــ وادى هرّان ــ الحزم .

وأهم من زار المنطقة من الباحثين الحقيقيين وكتبوا عنها :

١ — العالم الفرنسي يوسف هاليفي ... J. Halevy .... سنة ١٨٦٩ حسبما سبق وقد نشرت مجموعته أكاديمية العلوم الشرقية في باريس كما نشرته الجريدة الآسيوية في أعداد متفرقة سنتي ١٨٧٢ و١٨٧٨ .

٢ — حاييم حبشوش . أحد يهود صنعاء حينذاك ، وقد زار معيناً كرفيق لها ليفي ووضع بعد عودته الى صنعاء كتابا عن رحلته باللهجة الصنعائية ، نشره م . جويتين في القدس سنة ١٩٤١ .

٣ — الأستاذ محمد توفيق (١٩٤٤ — ١٩٤٥) وقد سبق الكلام عنه .

٤ — الدكتور أحمد فخري (١٩٤٧) نشرت أبحاثه في ثلاث مجلدات الأول والثالث باللغة الانكليزية ، كما خصص الجزء الثاني للنقوش التي ترجمها وعلق عليها البروفسور ريكمانز — أستاذ جامعة لوفين Louvin وطبع بواسطة — جامعة القاهرة سنة ١٩٤٧ وعنوانه :
«AN ARCH EOLOGICAL JOURNY TO YEMEN»

وعلى ضوء مجموعة هاليفي وضع المستشرق فريتز هومل F. Hommel أبحاثه التي تضمنها كتابه Sudarabische Chrestomathie سنة ١٧٩٣ كما قام كل من رودو كاناكس .... Rodo Kanakis وماريا هوفنر M.Honefr وملاكار Mlk.r بوضع كتابهم المشترك :
Lita udarabischen Epigraphik and Archelogiea
معتمدين على مجموعة جلازر الى جانب مجموعة هاليفي .

وقد وجدت أبحاث هؤلاء الثلاثة صدىً عميقاً في أوساط البحوث الأثرية لجنوب الجزيرة العربية في كافة المعاهد والأكاديميات الغربية حينذاك .

٣ — آثار مملكة سبا
(صرواح — مارب)
صرواح

هي غير صرواح ارحب ، وتبعد عن صنعاء ب ١٤٢ كيلومترا شرقاً

بطريق السيارات التى تمر بجعانه ، فوادى مسور الذى ينتهى بذنه ثم قاع سهمان – العرقوب – سائلة حباب التى تنتهى بالخارو – ثم صرواح – مأرب .

ولها طريق آخر من صنعاء شمالاً ثم تعرج شرقاً على :

وادى السر – وادى الشرفاء – نقيل شجاع – حريب الفراش – وادى سلوت – صرواح .

وصرواح الآن قرية صغيرة يتراوح عدد بيوتها بين الأربعين والخمسين بيتاً وتقع فى وسط وادى صرواح التابع لقبيلة جهم .

وقد بنيت فى هذا المكان بالذات لتكون على مقربة من السد الذى لا تزال آثاره باقية فى منطقة (البناء) بالقرب من القرية ، وقد أقامه السبئيون القدامى فى تاريخ يعود إلى ما قبل القرن العاشر قبل الميلاد .

وأهم الأماكن الأثرية الأخرى : (١) القصر وهى الآن قرية صغيرة مسورة وفيها مركز الحكومة (٢) الخريبة وبها بقايا قصر ضخم – ومعبد (المفة) وغير ذلك من الأطلال ، ولا تزال أعمدة المعبد قائمة ويتراوح ارتفاع بعضها بين ٧ و ٨ أمتار ، والجنوبية منها مكتوبة بالمسند وعلى احداها نقش يدع ال ذراح بن سمه على ينوف(المكرب)الثانى لدولة سبأ (٨٢٠–٨٥٠ق.م) وآخر ليكرب ملك وتار (٥٦٠ – ٥٤٠ ق.م) .

وقد قام الأهلون باحداث بناء بين الأعمدة وصيروا من المعبد فناءً يضم عدة أماكن سكنية صغيرة .

وفى داخل المعبد يظهر جانب من النقش التاريخى الهام والمعروف عند المستشرقون بنقش (النصر) ، وصاحبه كرب ال وتار بن المكرب ذمار على وتار (٦٢٠ – ٦٠٠ ق.م) ولم يقرأ الا بصعوبة ، لأن بناء قد أقيم بجانبه بل ملاصقا فغطى معظمه ولأن انطماسا قد أصاب الكثير من سطوره كما لطخ الجزء الأسفل منه .

ويبدو من هذا أن المعبد قد تنوع استعماله خلال الثلاثة آلاف عام الماضية

حتى صار الآن وفي قرننا العشرين مقهى صرواح الوحيدة والمأوى الرئيسي للمسافرين من رجال وحمير وجمال وبقر وغير ذلك .

وقد عنى بدراسة هذا النقش عدد من العلماء وأهمهم هومل *Hommel* وجروهمان Grohman وريكمانز Rykmans ورودو كاناكيس Rhodo Kanakis وغيرهم واعتبروه أهم نقش سبئي يحمل معلومات تاريخية عن مشاريع قام بها الملك كرب ال ذمار تتعلق بالأمن والعمران .

وفى فناء المعبد تربض صخرة هائلة من البلق وهى على شكل مربع وقد كتبت واجهتها بالخط المسند ولكن مع قربها من الأرض وتعرضها للأوساخ والأتربة قد أصبحت كتابتها مطموسة تقريباً .

مارب

هى الآن مدينة صغيرة تشغل جانباً من المدينة الأثرية القديمة فى الناحية الشرقية ، وتبعد عن صرواح ٥٠ كم وعن صنعاء ١٩٢ كم ، ويبلغ سكانها حالياً نحو ألف نسمة معظمهم من القرار ، والبقية من الأشراف ، وتحيط بها قبيلة عبيدة التى تنتشر مساكنها بين صافر ومعين ، وتشتهر مأرب الآن بتجارة الملح الذى تستورده من (صافر) شرقاً حيث توجد مناجمه ثم تصدره الى المدن اليمنية .

وكانت مأرب القديمة تشغل مساحة كبيرة تقدر بـ ١٦٠٠ متر مربع هى أكبر مدينة في جنوب الجزيرة العربية وأكثرها انتعاشاً من ناحية الزراعة والتجارة والعمران .

وقد ضاعف من ازدهارها الزراعى قربها من سد مأرب واكتناف الجنتين لها ، كما ضاعف من ازدهارها التجارى وقوعها على طريق القوافل التجارية التى كانت الوسيلة الوحيدة لنقل بضائع الهند والصين وفارس الى أوربا من شواطىء البحر العربى فى الجنوب الى شواطىء البحر الأبيض المتوسط فى الشمال والعكس .

وهكذا ظلت زماناً طويلا يزيد على ١٢٠٠ عام تتمتع بالرخاء والانتعاش الامر الذى مكن السبئيين من بناء حضارة زراعية تتجلى فى سد مأرب وحدائقه وأخرى عمرانية تتجلى فى معبد أوام ، ومشرعم ، وباران ، ومعربم ، وغيرها .

وكان تصدع سد مأرب فى القرن الثانى للميلاد ، أى بعد أن تحول الطريق التجارى بحرا عبر المحيط الأطلسى كما بيناه فى (اليمن عبر التاريخ) ومن أهم العوامل التى أدت الى شل الحركة التجارية والحياة الزراعية فى المنطقة مما جر الى خرابها واندثارها ، وتفرق السبئيين عنها (أيدى سبأ) : وتحولت ديارها الى خرائب واطلال ومزارعها الى صحراء ذات رمال (وشىء من سدر قليل) ، كما قيل .

وطار القيول وقيالهــــا ببهماء فيهــا سراب يطم

وقد ذكر المؤرخون والمفسرون الكثير من الأقاصيص عن مأرب وسدها وأخبار انهياره كالدميرى فى (حياة الحيوان) وابن الجوزى فى (مرآة الزمن) وابن عبد ربه فى (العقد الفريد) والطبرى فى (تاريخه) والهمدانى فى (الأكليل) وبعضها لا يستند الى مصدر صحيح بل لا يقبله العقل كقصة الخلد (الجرذ) الأعمى ، وأسطورة عمر بن عامر وغيرهـا . وخلاصة القول أن ارادة الله تعالى هى الغالبة ، وهو الذى اذا أراد انشاء أمر قال له كن فيكون ، والاعراض عن أوامره وتعاليمه يترتب عليها الجزاء لقوله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » ، وقوله : وهل نجازى الا الكفور » .

ولم يعثر حتى الآن على أى مصدر يفصح عن تاريخ بناء هذه المدينة الا أن هناك نقوشاً يستفاد منها أن مأرب كانت عامرة فى القرن التاسع قبل الميلاد وقد عثر بين مجموعة جلازر على نقش يشير الى أن يدع الذراح ابن سمهعلى ينوف وهو المكرّب الثانى من مكربى سبأ (٨٢٠-٨٠٠ ق.م) وقد بنى حائطا حول مأرب من أجل (المقه) ، وان كرب ال بيين بن يثعمر (٧٢٠ - ٧٠٠ ق.م) قد أضاف بوابتين وأبراجاً فى نفس السور .

ويظهر من النقوش التى وجدتها فى صرواح ومأرب أن يدع ال المشار اليه كان يسيطر على حكم كل من منطقتى مأرب وصرواح ، وانه قام

بدور هام فى بناء سور مأرب وسدها ومعابدها (اوام) و (بارآن) و (مشرعم) و (معريم) وهذا يعنى أن هذا المكرب النشيط قد كرس جهودا كبرى فى بناء الحضارة السبئية واوجد كيانا دوليا لشعب سبا دام حوالى ستة عشر قرنا من الزمن ، وان احفاده الذين جاءوا من بعده واهمهم كرب ال بيين حفيـــده الأول (٧٢٠ – ٧٠٠ ق.م) ويشمـــر بيين حفيـــده الرابـع ، (٦٨٠ – ٦٦٠ ق.م) وكرب ال ونار حفيده الخـامس (٦٦٠ – ٦٢٠ ق.م) ومن تبعهم ز[1] قد قاموا بجهودات اضافيه فى مجال التوسع والتحسين ، الامر الذى مكن دوله سبأ من نشر نفوذها السياسى والعسكرى على جميع الممالك المجاورة لها الواحدة تلو الأخرى ، كمعين وحضرموت وقتبان واوسان .

أهم آثار مأرب :

تعتبر مدينـة مأرب أهم مدينـة أثرية فى اليمن على الاطلاق ، وتنبىء خرائبها المتناثرة على شكل مرتفعات وآكام ان تحتهـا الكثـير من المفاجآت والمعلومات التاريخية الهامة التى تحتاج اليها فى دراسة التاريخ اليمنى حاجة ماسة . والنقوش الموجودة فى متحف مأرب وعلى واجهات البيوت وفى فنـاء المعبد (أوام) برهان ناطق على ان مأرب كانت زاخرة بالقصور والأسواق والمبانى الفخمة ، وقد عثر بين أنقاض المدينة على المئات من القطـع الأثرية والتماثيل الرخامية ، وفى متحف فولكار كوندى بهـا مبرغ يوجد ما يزيد على ٨٠ قطعة من هـذه التماثيل . وفى متحف مأرب شـاهدت من الرؤوس الرخامية ما يزيد على المـائتى رأس من المرمر .

١ — معبد أوام :

يقـع على مسـافة ٢ كم الى الجنـوب الشرقى من مدينـة مأرب معبـد (المقه) ويطلق عليه فى النقوش (ثهوان بعل أوام) أى سيد أو اله أوام ، وأوام اسم قبيلة مأرب فى عهد السبئيين ، وقد ذكر الهمدانى اسم أوام فى الجزء العاشر من الاكليل فى نسب الصليحيين . وهو بناء ضخم دائرى الشكل تقريباً تبلغ مساحة قاعدته ٥٧ × ٥٢ قدماً مربعاً ، ويبلغ قطره حوالى ألف

(١) راجع مشجرات السلالات الملكية السبئية فى كتاب انساب قحطان للأستاذ أحمد حسين شرف الدين .

قـدم ، وكان يقوم المعبـد على ٢٢ عموداً من البلق يبلغ طول الواحد منها ٢٢ قدماً فى عرض ٨٢ سم وسـمك ٦٠ سم على ما حققه الرحالة جلازر ، أما الآن فلم يبق من الأعمدة غير ثمانية فقط تقوم على بعد عشرة أمتـار من مدخل المعبد ، وهنالك أعمدة أخرى صغيرة كشفت عنها بعثة ويندل فيليبس سنة ١٩٥٢ ، ويقول ويندل فيليبس انه كان يقوم على هـذه الأعمدة سقف واحد متحرك لكامل المعبد أقيم عليه العرش ، ذلك لأن تلك الأعمدة تنتهى من أعلاها مخروطة الشكل . ويوجد على حيطان المعبد ٦٤ نافـذة اصطناعية منحوتة ومزخرفة مع كثير من التجاويف والنوافذ والصـور التى تمثـل القرابين ، والأشكال ذات الصنعة الشبكية المزدوجة الموشاة بمعدن الرصـاص والزئبق ، وفى نهـاية كل حائط مربع " منحـوت موشىً بالبرونز ، والى جانب المعبد أقيم بناء دائرى الشكل يصل بينـه وبين المعبـد باب كانت دا جات المعبد النافذة اليه مغطاة بالبرونز بدليل أن أكسيد النحاس قد تغلغل عميقاً داخل الحجـارة فى أماكن معينـة ، ولذلك فانه من الممكن أن يكون المدخل بأكمله قـد غُطّى ذات مرة ببلاط برونزى . ومن الجـانب الشرقى للمعبد أقيم بناء يشبه (الكلية) الى حد كبير وترتفع بعض جوانبه الى ٢١ قدماً ، وقد بنى بعناية فائقة من طرفيه وحشى بالرمل والحجـارة ، ولعله أقيم لدفع العواصف الرملية أو لمقاومة المياه المتدفقة من ناحية السد .

وللمعبد حائط ضخم على شكل الدائرة تقريباً ، وقد نُحتت أحجاره البلق الضخمة والتى يتراوح طو ل كل منها بين (١٫٥٠ و ١٫٧٠ م) نحتاً فنياً دقيقاً ، والصف السابع منها مكتوب بالخط المسند بطريقة معاكسة لما كتب فى الصف السادس ؛ ولكن كثيراً من تلك الأحجار التى وقعت فيهـا الكتابة قد أزيلت من أماكنها ومع هذا فلا يعرف بقية النقش . وأقدم نقش كتب على حائط المعبد يحمل اسم يدع ال ذراح — السالف الذكر — والذى شيد جانباً من المعبد ، وقـد يكون البانى الأصـلى له أبوه سمح على ينوف المكرب الأول لسبأ (٨٥٠ — ٨٢٠ ق.م) الذى يبدو انه الحفيد الثانى أو الثالث من المكربين الذى خلفوا ملكة سبأ على العرش ، وحيث أن سليمان عليه السلام قد عاش فى القرن العاشر قبل الميلاد (٩٧٢ — ٩٣٢ ق.م) فمن المحتمل أن مكربين

آخرين قد ملكوا سبأ قبل هذه الملكة التي نص القرآن الكريم على زيارتها لسليمان ، وهذا يعني أن دولة سبأ قد بدأت قبل القرن العاشر قبل الميلاد ، ولكنه لم يعثر في أي مكان على أي نقش يعود الى ما قبل تاريخ سمح على ينوف الذي يحتمل انه الباني الأول لمعبد أوام والمخطط لبناء السد وغيره من المعابد التابعة لمأرب وصرواح والمساجد .

ومن ثمة نستطيع أن نقول بان هذا المعبد قد بني في أواسط القرن التاسع قبل الميلاد ليعبد فيه اله جديد لم يظهر اسمه من قبل في أي نقش سبئي ولا معيني قديم ؛ وهو الاله المقه الذي ظل المعبود الرئيسي لسبأ حتى القرن الرابع للميلاد .

ومعظم المستشرقين يفسرون (المقه) بالاله القمر ، ولا يعرف مستندهم في ذلك ، على أن المعروف بأن الديانة السبئية القديمة كانت ترتكز على عبادة الشمس كاله رئيسي ، وكانت الشمس معبودة سبأ الى ما قبل زيارة ملكتها لسليمان عليه السلام ، وفي ذلك يقول الله عز وجل على لسان هدهد سليمان في الآية الكريمة : « وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله » وقد أسلمت بعد ذلك مع سليمان لله رب العالمين .

ومن ذلك يستفاد أن ملكة سبأ قد عادت الى مأرب معتنقة الاسلام وبنت فيها هيكلاً لا يزال يعرف حتى الآن بـ (هيكل سليمان) ، ثم جاء المكربون بعدها فبنوا هياكل أخرى في نفس المنطقة وأهمهم يدع ال ذرياح .

وليس ببعيد القول بأن (المقه) معناه الاله القوي أو الأكبر وهو الله ، وبهذا نستطيع أن نلائم بين نصوص القرآن الكريم وبين معلومات النقوش ثم بينها وبين الأقوال التي تفسر كلمة (المقة) بـ (آله القمر) بالاضافة وبدون تعريف .

ولكن عندما ندرس النقوش التي كتبت باسم المكربين نجد ان عبادة (المقة) دون أن يشرك بهآلهة أخرى لم تلبث الا يسيرا حتى عادت سبأ الى التمسك بآلهتها الأولى كمعبودات ثانوية ومنها : عثتر (الزهرة) ذات حميم

(الشمس) ذات بعدان (القمر) ، وغيرها وربما كان ذلك من باب قوله تعالى : «ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى» ، وقد عاقبهم الله بسبب شركهم هذا بان ارسل عليهم سيل العرم ، وقال تعالى فى ذلك « لقد كان لسبأ فى مساكنهم أية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور • وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياماً آمنين ، فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ، ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور » (١) •

٢ — معبد باران :

يقع بالقرب من معبد أوام غرباً ويعرف عند السكان بالعمايد، ولا تزال توجد فيه خمسة أعمدة على شكل أعمدة (أوام) طولا وعرضا ، « وقدراى ارنؤد حجرا مكتوبا فى العمايد وتعرف من الكتابة ان اسم ذلك المعبد هو (باران) وانه كان مشيداً للآلة المقة (٢) ويقول الدكتور أحمد فخرى انه شاهد عند زيارته لمأرب سنة ١٩٤٧ بعض الأحجار المكتوبة فى هذا المكان احدها يسجل وقف أرض للمقة من شخصين وآخر يسجل تقديم شخص يسمى ذمار على للآلة المقة ليكون ملكا للمعبد من شخص آخر يسمى (ال أمر) (٣) •

وقد وجد فى متحف مأرب سنة ١٩٥٩ نقشاً من البرونز وربما كان جزء من نقش مطول يحمل اسم يدع ال ذراح — السالف الذكر — ويثعمر اللذين أوقفا للمقة بيته (مشرعم) ، ويقال ان هذا النقش نقل من المعابد وربما يكشف لنا المستقبل عن الأسم الصحيح لهذا المعبد •

---

(١) سورة سبأ — الآية : ١٥ — ١٨ •

(٢) اليمن ماضيها وحاضرها صفحة ١٢٤

(٣) المصدر السابق •

٣ ـ هيكل سليمان :

ويوجد على مقربة من السوق الواقعة فى وسط مدينة مأرب ولا يرى منه الآن غير أعمدته الجرانيتية الضخمة التى ردم ما بينها وصير من المبنى مسجدا يعرف بمسجد سليمان . ويقول انه قد حفر قبل سنوات بجانب المسجد وعثر فيه على بعض التماثيل من المرمر .

٤ ـ معبد معريم :

يقع فى مكان يدعى (المساجد) على بعد ٤١ كم جنوب غربى مأرب تحت جبل السحل فى حنلة بنى سيف، زرته (١) سنة ١٩٥٩ ، ولا أظن ان أحدا من المستشرقين زاره من قبل لصعوبة الوصول اليه بسبب الرمال المتكدسة .

وبالرغم من قوة السيارة التى كانت معنا فقد حالت الرمال بيننا وبين مواصلة السفر الى المساجد ، واضطررنا للعودة الى مأرب حيث أستصحبنا مجموعة من الرجال ومعهم عدد من المجارف للمساعدة على جرف الرمال ورفع السيارة عندما تهبط فيها ، وبصعوبة وصلنا الى المساجد بعد عشر ساعات قضيناها فى الطريق .

يقع المعبد بين جبل السحل من الغرب وأكمة صغيرة أخرى من الشرق على الطرف الجنوبى الغربى من مسيل الفلج ، ويشغل مساحة واسعة تقدر بـ ٦٣ × ١٧ مترا ولا تزال أعمدته وبواباته قائمة فى كل من الناحيه الشمالية والجنوبية ، وحوله الكثير من الانقاض والأعمدة المنحوته .

ويعود بناء هذا المعبد الى أواخر القرن التاسع قبل الميلاد، وبانيه هو المكرب الثانى من مكربى سبأ يدع ال ذراح بن سمح على ينوف (٨٢٠ ـ ٨٠٠ ق.م) بانى معبد صرواح ومعبد مشرعم بمأرب ، وبانى السد أيضا كما سبق أن أوضحناه وكما سيأتى بيانه .

وقد شاءت عزيمة هذا الحاكم النشيط ان يشيد هذا المعبد الضخم فى المنطقة مذللا كل الصعوبات وأهمها نقل تلك القطع الهائلة من البلق ومن

---

(١) الأستاذ أحمد حسين شرف الدين .

مكان يبعد حوالى ٩٠ كم حيث لا توجد مقـاطع البلق الا بالقرب من جبل هيلان شمالى صرواح بمسافة ٥ كم •

وقد كتب على العمود المعترض فوق البوابة الشمالية اسم ألمكرب يدع ال وباسم المعبد (معريم) وقد بناه كمعبد للمقة •

٥ ــ قصر سلحان :

ولا توجد آثاره بالضبط ، وربما كان ضمن انقاض المدينة المبعثرة •

٦ ــ سد مأرب :

يقع على بعد ٤ كيلو مترات من مأرب غرباً وفى مضيق وادى أذنة الذى تجتمع فيه مسائل المياه المنحدرة من رداع وعنس وذمار والحدأ وجهران ومسافط خولان الجنوبية وغيرها وتشكل دمرا مائيا كبيرا ، يقع سد مأرب ، اشهر آثار المنطقة وأعظم عمل هندسى عرفه تاريخ الجزيرة العربية كلها •

لقد كان هذا السد السبب الأول فى رخاء المنطقة وسعادتها وبروزهـا الى مسرح الحضارة العالمية كبلد له تاريخ مجيد وماض مزدهر • ويكفى ان القرآن الكريم قد وصفها بالبلدة الطيبة ، ونعت أهلها بالقوة والباس الشديد، وذلك فى قصة النبى سليمان عليه السلام ، كما كان انهدامه بعد ١٢ قرنـا من الزمن العامل الأكبر فى بلاء هذه المنطقة وشقائها وتفرق أهلها وتناثرهم فى أصقاع الأرض وتحت كل نجم ودخولهم فى هجرات سحيقة متسلسلة لا تزال حتى يوم الناس ، غمروا بها أطراف الشـام والحجاز وأفريقيـا ، فاستنارت بمعارفهم أرض العراقين ، وازدهرت بفنونهم بلاد ما بين النهرين ، وقد يجد المتأمل من اتسـاع الرقعـة اليمنية ومن آثار الحضـارة والزراعـة والعمران فيها ما يمكنه من الحكم بأن امة ضخمة قد عاشت فى هذه المنطقـة كان لايقل تعدادها عن الأربعين مليونا م ويؤكد ذلك البطون اليمنية الكثيفة التى يجدها السائح فى كثير من مناطق العالم •

ولا شك أن تلك الموجات جميعها ترجع الى بواعث اقتصادية . وقد لعب الاسلام دوراً هاماً فى مضاعفة هجرات أهل اليمن ضمن حملات الفتـح الى

الشام وفارس ومصر وشمال افريقيا وأسبانيا وصقلية حيث يوجد خلق كثير من السلالات اليمنية .

لقد بنى هذا السد الذى يسمى ـ كما فى النقوش ـ (العرم) أو (رحب) على عرض وادى اذنة ليسد فوهته ، ويصل ما بين الجبلين ه وهما الفلج الأيمن والفلج الأيسر اللذان يبلغ ارتفاعهما حوالى ٩٥ متراً ، وذلك بغية تحوير المياه وخزنها ثم تصريفها بقدر الحاجة بواسطة مصارف من اليمين والشمال . ويبلغ طوال العرم ١٠٠ م فى ارتفاع ٤٥ متراً وسمك ٢٥ متراً كما يظهر ذلك من بقايا الموجودة على الصدف الأيسر (الشمالى).

ويتصل العرم من كلا الجهتين ببنائين هما غاية فى الابداع فى كل من فنى الهندسة والنحت كمركزين لتصريف المياه بواسطة فتحات هندسية دقيقة واحدة منها فى الصدف الأيمن (الجنوبى) يسميها السكان (مريض الدم) وتمر بين الجبل والبناء ، واثنتان فى الصدف الأيسر (الشمالى) تنتهيان بخزان (٥٠ × ١٣ م) يعرف حتى الآن بخزان الجفينة ، ومنه تتفرع المياه بواسطة قنوات فرعية تنتهى فى أواسط حقول الجنة اليسرى .

ويبدو أن هذا الخزان الصغير قد اتخذ كمسفحة أو ما يسمى فى لغة اليمن الدارجة (منقصة) لخزن المياه التى قد تفيض عند امتلاء السد ثم تفتح عند الحاجة .

وليس من السهل معرفة الوسائل التى كانت تقوم عليها عملية اغلاق تلك الفتحات لغرض حفظ المياه ، ثم فتحها بقصد تصريفها . الا انه يشاهد على أبواب تلك الفتحات مما يلى الجنتين أعتاب جانبية بارزة ربما كانت مواضع أبواب متحركة يتم فتحها واغلاقها بطريقة آلية دقيقة .

ونظراً لضخامة هذا البنيان فمما لا شك فيه أن انجازه قد استغرق وقتاً طويلاً من الزمن ، وربما تعاقب على انجازه مكربان وأكثر ، وهذا نقش الملك شرحبئل الموجود بين أنقاض السد يحدثنا بأن ترميم السد عام ٤٥٠ للميلاد قد أخذ من الوقت ما يزيد على ثلاثين عاماً ، وانه قد اشترك فى العمل

عشرون ألف عامل ، أما نقش ابرهة الذى رمم السد ثانية سنة ٥٤٣ م فينص على أن مدة العمل كانت أحد عشر شهراً فقط ، الا أن عمل الملك شرحبئل لم يقتصر على ترميم السد فقط بل اكتنفه تشييد سدود أخرى ردم بها ثغرات جبلية تتصل بحوض السد كـ (مذاب و (تزن) و (جيلان) كما تخللهـا اصلاحات تتعلق بالأرض والحقول والمصارف .

وما يدرينا أن الامكانيات التى سخرها المكرب سمح على وشعبه سبأ كانت من القوة والقدرة بحيث مكنته من انجاز هـذا المشروع الجبار خلال مدة قصيرة من الوقت وربما لا تتعدى مواسم الجفاف ، لأن بناء جزء دون آخر معناه تعرض الجزء المبنى للسيول القوية التى تأتى أيام الأمطار فتكتسح ما أمامها من حجر وشجر .

ويستنتج من هذا أن مئات الألوف من السبئيين قد اشتركوا فى عمل السد ، واذا كان الملك شرحبئل قد رمم السد بعشرين ألف عامل فبالأولى بناؤه من جديد ، ثم ما يدرينا أن شعب سبأ قد أقام هذا المشروع بمفرده لأنه كان شعباً كثيفاً يقدر تعداده بالملايين نظراً لاتساع الرقعة التى كانت تضم مساكن السبئيين ، ولعل التنقيب فى فناء السد سوف يكشف لنا الكثير من المعلومات الهـامة عن تاريخ اليمن حضارياً واجتماعياً .

ويفيد أحد النقوش أن سمح على ينوف بن ذمار على مكرب سبأ وهو المكرب الأول هو أول بان للسد ، كما يفيد نقش آخر بان كرب ال بين بن يثعمر (٧٢٠ — ٧٠٠ ق‌م) قد أضاف تحسينات على الصدف الأيسر .

وقد تهدم هذا السد مرارا عبر القرون الا أنه لم يعثر على أية وثيقة تفصح بذلك غير نقش الملك شرحبئل يعفر (٤٥٥ — ٤٧٠ م) ونقش أبرهة ويوجد هذان النقشان على وجه الأرض) فوق الصدف الأيسر وهما فى غاية الأهمية ، وقد أوردنا نقش ابراهة بعد هذا أما نقش شرحبئل فسيأتى فى المجموعة الثانية علما بأننا قد سبق أوردناهما فى كتابنا (اليمن عبر التأريخ) صفحة (١٢٩ ١٣١) — الطبعة الثانية .

٣ — آثار مملكة سبأ وذوريدان

ظفـــــار :

تقع على مسافة ١٧ كم جنوبي مدينة بريم وعلى مسافة ١٢٣ كم من صنعاء وتنفصل طريقها من الطريق الرئيسية بقاع الحقل النافذة الى سمارة عند قرية (قتاب) ، ثم تمر شرقا برباط القلعة فجنوبي منكث •

وتتكون منطقة ظفار من مجموعة جبال شامخة تحيط بها الحقول الواسعة يكتنفها الكثير من السدود ووسائل الرى (١) كما يعلوها الكثير من مآثر الحميريين وبقايا قصورها التى أصبحت اليوم مجرد ركام من الانقاض المبعثرة وأكثرها مفتته •

وأهم هذه الجبال (ريدان) ويطلق عليه الأهلون اسم (زيدان) بالزاى ولعل ذلك من قبل التصحيف النطقى ، وهكذا وجدت ان سكان منطقة البون يسمون قصر تلفم بريدة باسم (دلقم) بالدال والقاف وعند بعض المؤرخين العرب (تلقم) بالقاف واعتقد ان مثل هذا التصحيف قد جرى فى قصر صنعاء الذى يسمى عند المؤرخين العرب بـ (غمدان) بالغين المعجمة ولم يعثر على هذا الاسم فى أى نقش فيما قد عثر عليه حتى الآن ، فى حين أنه عثر على الكثير من النقوش التى تحمل أسم (عمدان) بالعين المهملة ، وهو عمدان يهقبض ملك سبأ وذوريدان • وقد وجد هذا الأسم فى العملة النقدية التى نشرناها فى (اليمن عبر التاريخ) ، ومن ذلك أيضا يحصب والأصل فيه يحضب الذى سميت المنطقة باسمه وهو الشرح يحضب ملك سبأ وذو ريدان (٢٥–١٥ ق.م) وقد عثر على نقش له فى قرية ضاف يجهران ونقوش أخرى فى مأرب •

ومن ذلك أيضا برط وقد جاءت فى النقوش بلفظ « ذوبرتن » ، وكانط وأصلها « آكانط » قرية أثرية فى الصيد من خارف ، وصللى فى عمران وأصلها

---

(١) يبلغ تعداد سدود يحصب الثمانين سدا ذكرنا أهمها فى (اليمن عبر التاريخ) •

« ظللى » والفلق «أصله فى النقوش « الفلج » وهو الجبل الذى بنى فى مضيقة سد مـأرب ، وذنة وأصلها « أذنت » وهنالك أماكن أخرى تحولت اسماؤهـا الأصلية الى أسماء أخرى منها : العمايد « باران » المساجد « معريم » وكلاهما بمأرب .

وهنالك أسماء قبائل لعبت دورا كبيرا فى التاريخ اليمنى ولم يبق لذكرها وجود ، مع مجيئها فى كثير من النقوش ومنها :

يهبلج ، زخلم ، عهر ، فيشـان ؛ سمعى ؛ أربعـان ؛ بنى مراثد : وهى امارة كبيرة عاشت فى عمران ، بنى بتع م وغير ذلك من اسماء القبائل والأماكن والأعلام التى بيناها فى كتابنا (أنساب قحطان) .

وفى ريدان الكثير من آثار الحميريين ولكن كمـا ذكرنا أصـبح معظمها ركاما من أحجار البلق الملونة ، ثم الكهوف المنحوته فى الجبل ، وقد أستخدأم بعضها كخزانات للمياه ، والبعض الآخر كمرابط للخيل وتمتاز بالفن الهندسى الرائع ، وقد جاء فى النقوش : (هجرن ظفار) أى مدينة ظفار ، كما جاء (بيتن ريدان) أى قصر ريدان وكثيرا ما جاء (ذو ريدان) فى القـاب ألملوك السبئيين (ملوك سبأ وذو ريدان) .

ويبدو ان بناء مدينة (ظفار) كعاصمة للريدانيين يعود الى القرن الرابع للميلاد وهو تاريخ تهدم سد مأرب بعد أن رممه الملك شرحبئل ، ويؤكد هذا تلك النقوش التى وجدتها فى منكث وبيت الأشول والتى يرجع تاريخها الى عام عام ٣٧٨ م ولـكن هـذا لا يعنى نفى العمران من هـذه المنطقة قبـل ذلك ولا سيما وأن النقش الذى وجدته فى بيت عبده المسعودى بظفار يظهـر انه قديم جداً ولكن صاحبه أخبرنى بأنه نقله من خرابة فى سفح جبل ظفار . الأمر الذى يجعلنا نتمسك بالقول الأول حتى يظهر دليل آخر .

(ملحوظة) هذه الأرقام هى التى وضعها المؤلف فى كتابه الشامل آثار معين وسبأ وقد أوردنا هنا البعض من تلك الصور والنقوش .

ولا تزال بعض آثار القصر قائمة الا أن أكثرها مغطى بالأنقاض وذلك بالرغم من كثرة الأحجار التى نقلت منه — ولا تزال تنقل — الى القرى المجاورة كقرية بيت الأشول ، ومنكث ، والعرافة ، وحدة غليس ، والحدرى ، وأهم تلك القرى بيت الأشول اذ يوجد بها كمية كبيرة من أحجار مدينة (ظفار) وقصورها فمعظم القرية على كبرها واتساعها قد بنى بتلك الأحجار .

ويظهر من استقراء النقوش التى وجدتها فى منكث أن بالمنطقة قصوراً أخرى منها شوحطم (شوحاط) ودووان .

وأهم الأماكن الأثرية فى المنطقة غير ما ذكرناه : المنصورة ، هدمان ، الشريف ، العرافة ، ذى الصولع ، جبل شمرير عش ؛ الحدرى ؛ أثرب .

ويعثر الأهلون الآن كنتيجة لحفرهم فى ظفار بغية استخراج الأحجار على مبان ضخمة وهى تشكل جزءا كبيراً من قصر ريدان ، ولعمرى أن عملية نبش الأماكن الأثرية وسرق الأحجار منها قد بدأ منذ قرون ولا يزال حتى اليوم فى اليمن — ومع الأسف — كشىء عادى ، وقد ساعد ذلك الأهالى على بناء عدة قصور تحمل الكثير من الأحجار المنحوتة والنقوش الحميرية والصور والزخارف وبعضها قد جرى عليه عملية التكسير كى يلائم النمط البنائى وهذا مما يؤسف له حقاً ، وهو ان دل على شىء فانما يدل على الاستخفاف بتراثنا العظيم والاستهانة بشأنه . وهذه الظاهرة يلمسها الزائر فى كل مناطق الآثار لا فى منطقة (ظفار) فحسب .

أما تاريخ تهدم مدينة (ظفار) فالذى يفهم من النقوش التى سنوردها بعد هذا أنه يعود الى تاريخ يتراوح بين القرن الخامس والسادس للميلاد ، ويمكن أن يحدد بتاريخ الاحتلال الحبشى لليمن ، ذلك الاحتلال الذى جنى كثيراً على حضارة اليمن وتراثها .

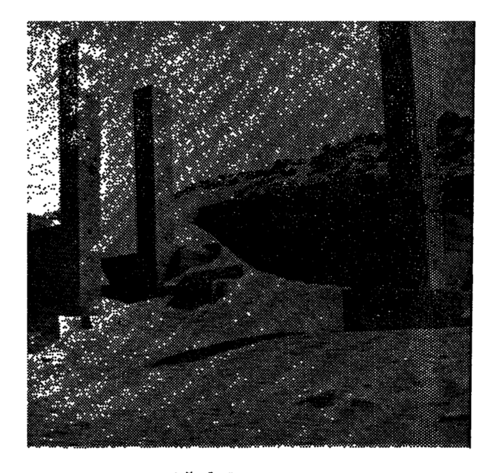
ومهما يكن من أمر ، فقد أبقت لنا تلك الحضارة الرفيعة سجلا حافلا وأعنى به النقوش التى سوف تنير لنا الطريق لمعرفة تلك الحضارة واكتشاف

أسرارها الا أن ذلك يتوقف على مقدار عنايتها بها واعطائها حقها من الدارسة والبحث .

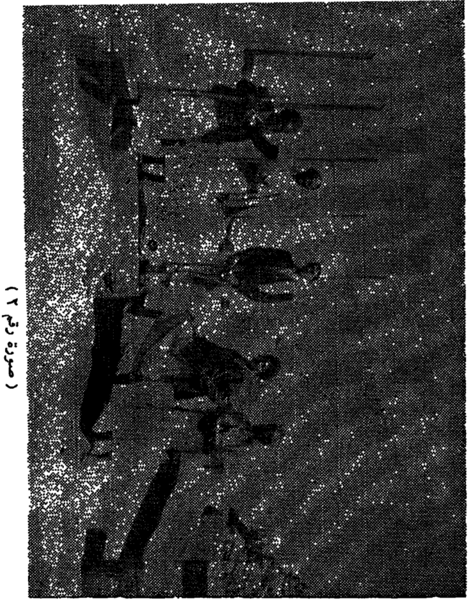
وعمليات الحفر والتنقيب ضرورة ملحة من أجل تحقيق هذا الغرض ، شريطة أن توجد الأيدى الأمينة والوعى الجدير بها ، والا فان بقاءها بين ظهرانى التراب فى رأيى أحفظ لها وأضمن لبقائها ، ولا أشك فى أن ذلك هو أمنية الجيل الصاعد الذى بدأ يفكر ملياً ويتساءل عن مصير هذه الثروة الرئيسية من تراث الوطن ومما يدعو الى الغبطة أنى وجدت لدى سكان قرية الأشول ، وأخص منهم الأستاذ محمد بن على الأشول وأحمد عبد الولى الأشول روحاً تقدمية جديدة وطموحاً الى العلم والمعرفة والاهتمام بحضارة الأجداد ، وقد كانا لى أكبر عون فى رحلتى وتنقلاتى فى المنطقة .



(صورة رقم ١)
من آثار مأرب : لوحة من الرخام



(صورة رقم ٢)
جانب من معبد (المقـــه) بمأرب



(صورة رقم ٢)

جانب من معبد مشرعم (العمايد) بمأرب



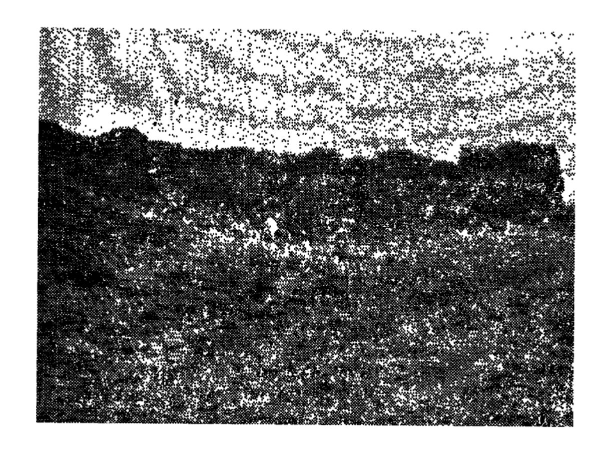
(صورة رقم ٤)
الصدف الأيسر الشمالى لسد مأربِ



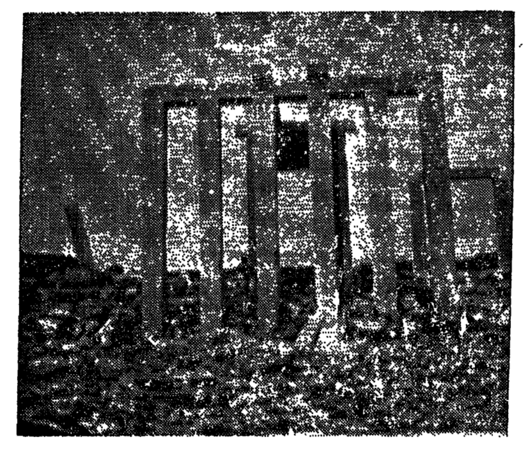
(صورة رقم ٥)
صورة من قرية شبام سخبم



(صورة رقم ٦)
قـــرية ناعط



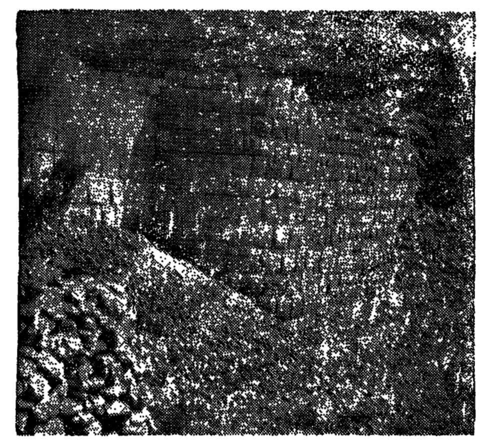
(صورة رقم ٧)
آثار معبد تالب رئام فى حاز



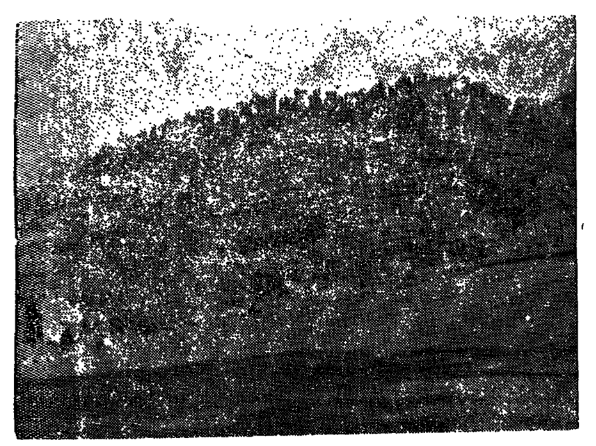
(صورة رقم ٨)
بقايا معبد معربم بالمساجد بمأرب



(صورة رقم ٩)
معبد (المقه) فى مأرب



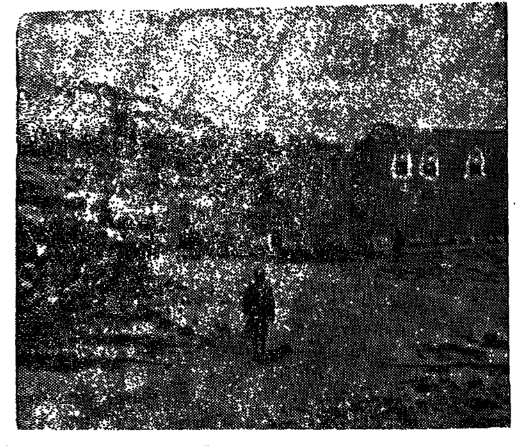
(صورة رقم ١٠)
من آثار دورم في منطقة ضهر



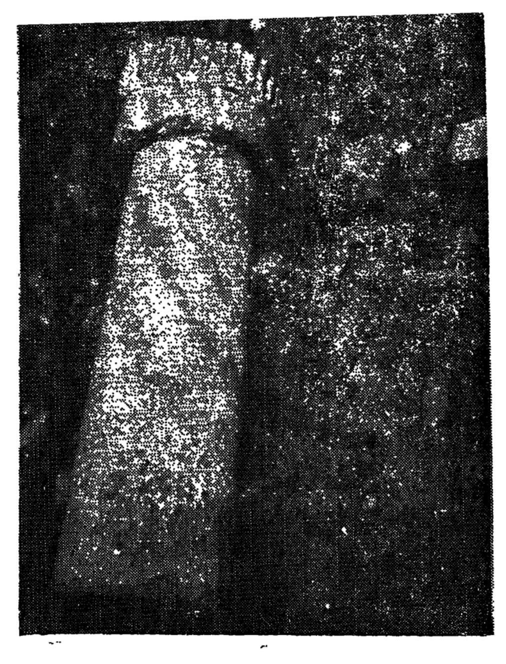
(صورة رقم ١١)
قرية بيت غفر فى همدان



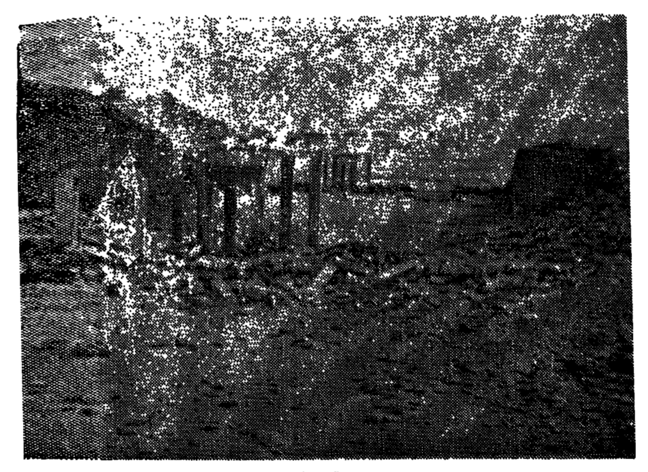
(صورة رقم ١٢)
قلعـــة مهلهـــل في خمـــر



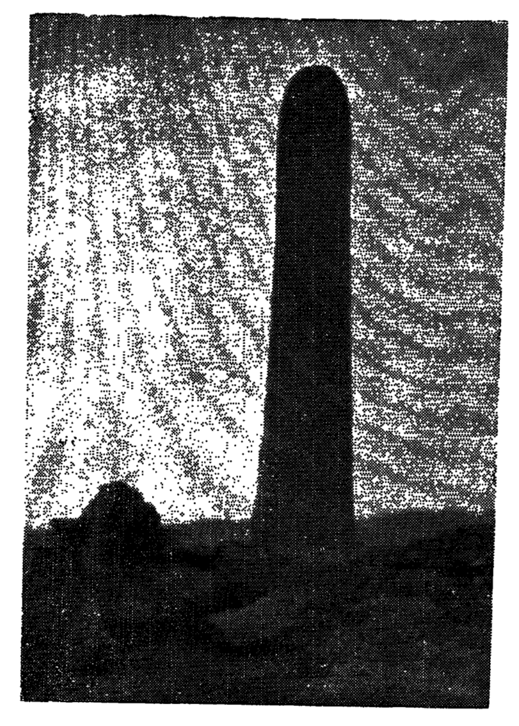
(صورة رقم ١٣)
جانب آخـــر من قرية شبنام سخيم



(صورة رقم ١٤)
من آثار شبام سخيم



(صورة رقم ١٥)
معبد معربم بالمساجد فى مأرب



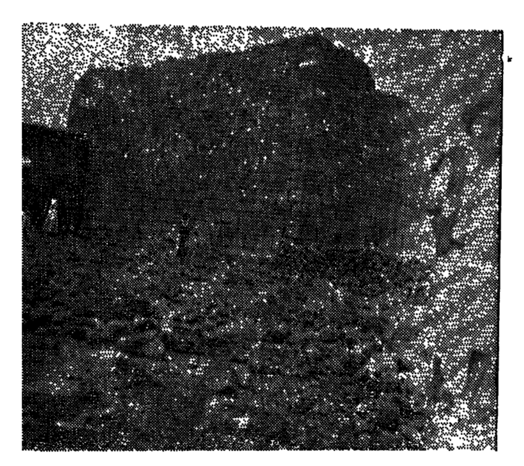
(صورة رقم ١٦)
من آثار مارب : يرى في أعلى الصورة صورة الشمس والقمر



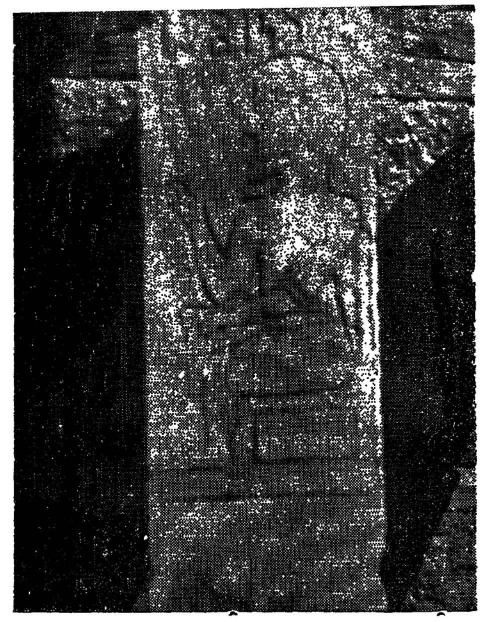
(صورة رقم ١٧)
جانب من قرية هكر



(صورة رقم ١٨)
قـــرية موكل

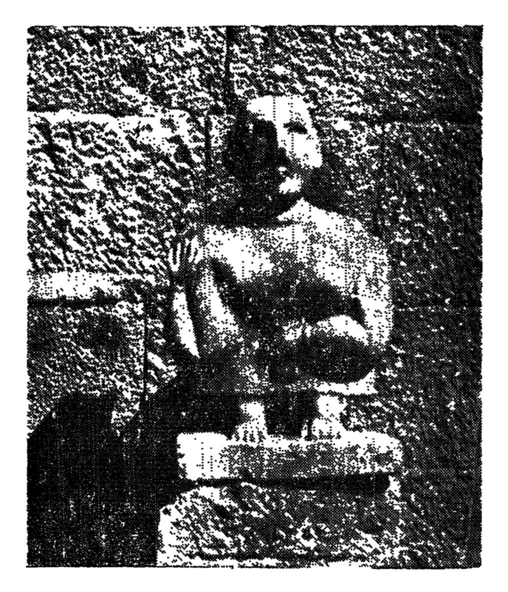


(صورة رقم ١٩)
بقـــايا معبـــد تالب رئام فى حاز



(صورة رقم ٢٠ آ)

سورة رجل سبئى محفورة على قطعة من الرخام (ذو سران تمام)



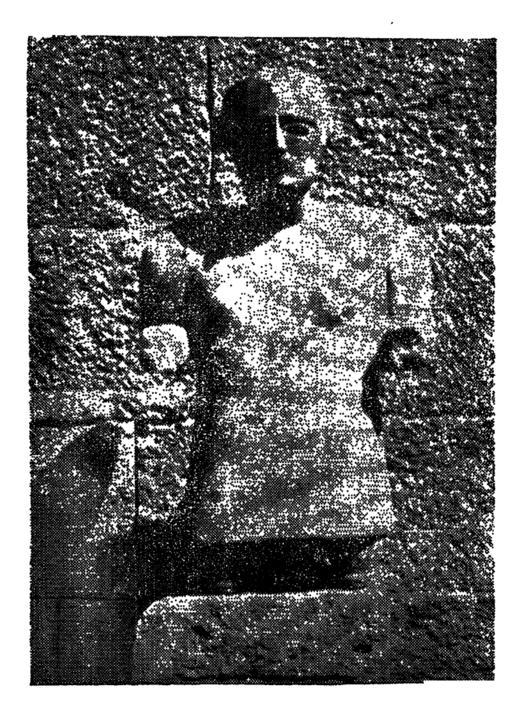
(صورة رقم ٢١)
تمثال من المرمر لسيدة سبئية



(صورة رقم ٢٢)
سنابل أكنطة فى قطعة من المرمر (متحف صنعاء)



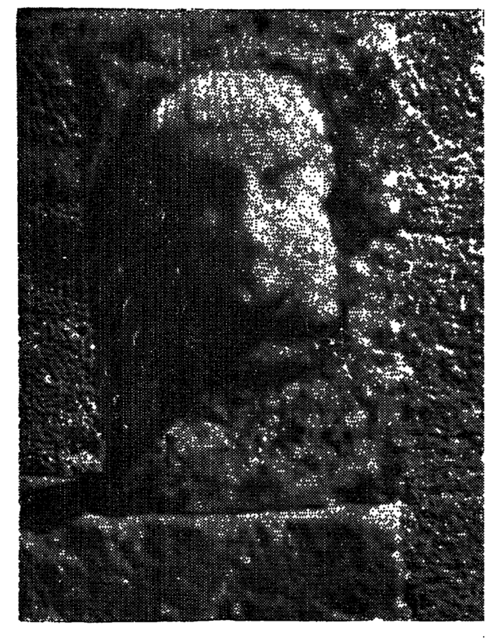
(صورة رقم ٢٣)
انموذج من فن الزخرفة والنحت (متحف صنعاء)



(صورة رقم ٢٤)
تمثال رجل سبئي (متحف مأرب)



(صورة رقم ٢٥)
تمثال من المرمر لسيدة سبئية (متحف مأرب)



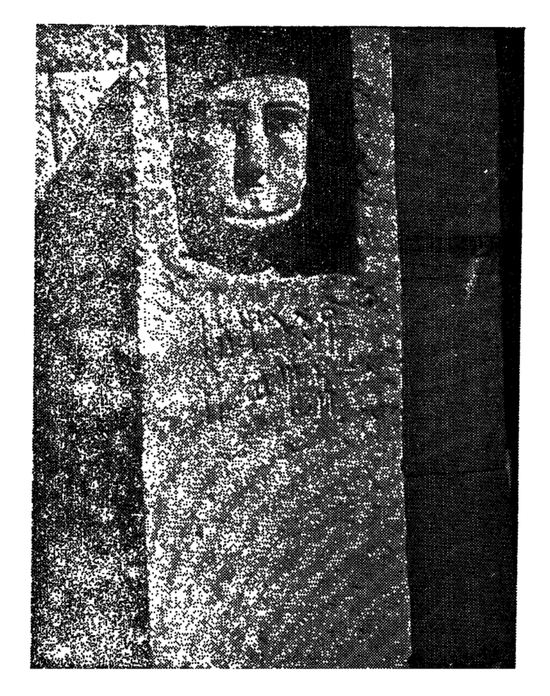
(صورة رقم ٢٦)
رأس من المرمر (متحف مأرب)



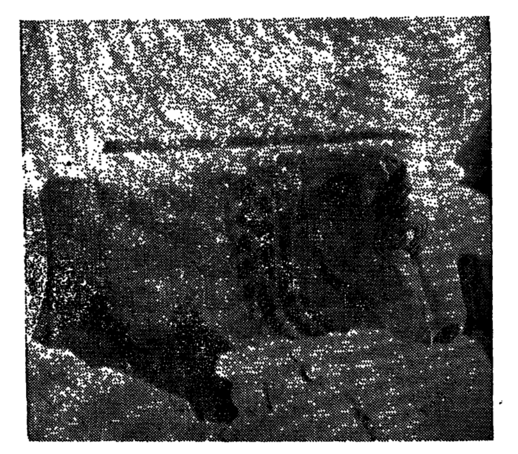
(صورة رقم ٢٧)
رأس من المرمر (متحف مأرب)



(صورة رقم ٢٨)
لوحة من المرمر (متحف مأرب)



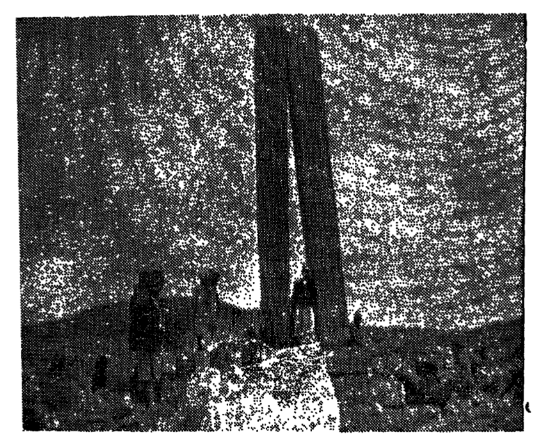
(صورة رقم ٢٩)
رأس من المرمر كتبت عليه « بشر فى ال احوض » (متحف مأرب)



(صورة رقم ٣٠)
رأس ثور من المرمر (متحف مأرب)



(صورة رقم ٣١)
لوحة من الرخام (متحف مأرب)



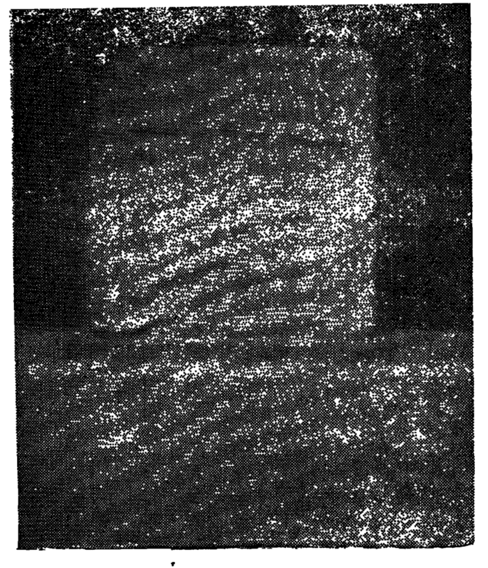
(صورة رقم ٣٢)
من آثار ناعط



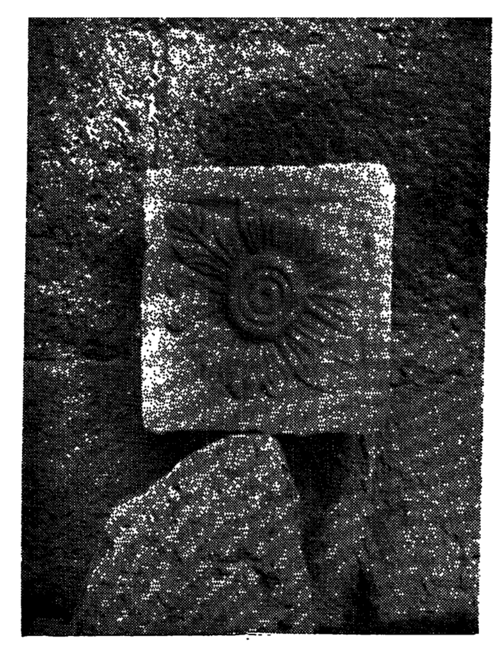
(صورة رقم ٣٣)
رأس تمثال لأسد من البرونز نقل من نجران (المتحف البريطاني)



(صورة رقم ٣٥)
تمثال من البرونز للملك ذمار علي يهبر ملك سبأ وذوريدان (١٥–٢٥ م)



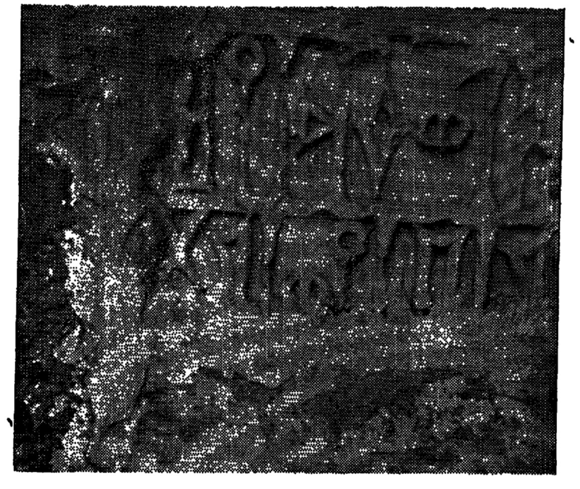
(صورة رقم ٣٦)
حاز : بصورة مقاتل



(صورة رقم ٣٦)
لوحة من الرخام (متحف صنعاء)



(صورة رقم ٣٧)
تمثال من البرونز (متحف صنعاء)



(صورة رقم ٣٨)
من آثار شبام سنحيم : « ال وضع يضع .... »



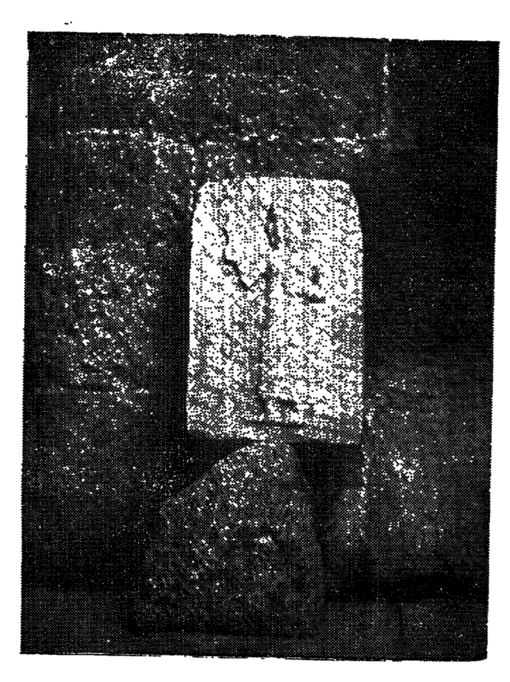
(صورة رقم ٣٩)
رأس وعل من المرمر (متحف صنعاء)



(صورة رقم ٤٠)
من آثار مأرب (متحف مأرب)



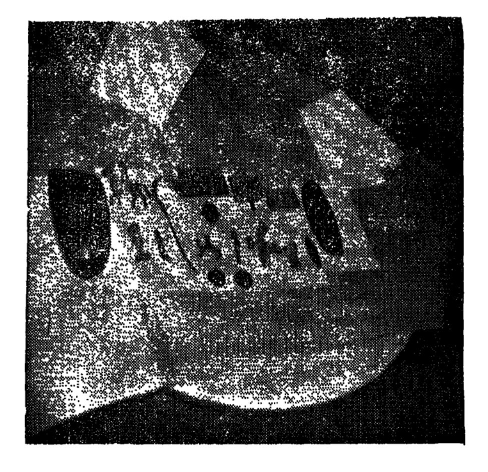
(صورة رقم ٤١)
صورة النسر فى لوحة من المرمر (متحف صنعاء)



(صورة رقم ٤٢)
شاهد قبر (متحف مأرب)



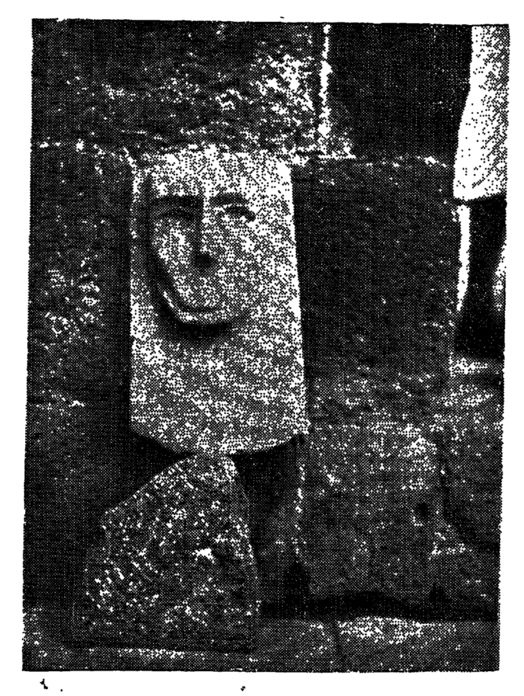
(صورة رقم ٤٣)
رأس من المرمر (متحف مأرب)



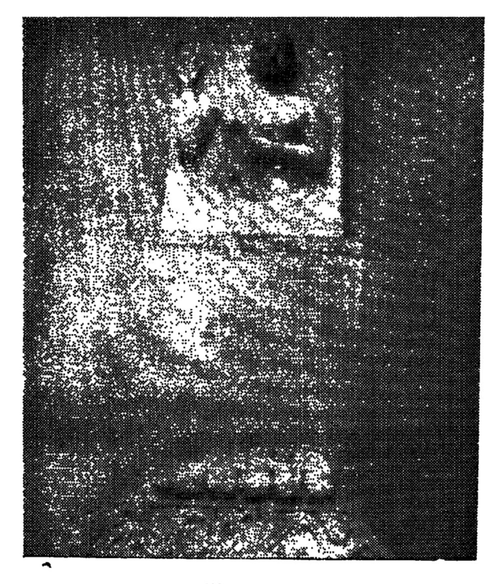
(صورة رقم ٤٤)
مجموعة من التحف البرونزية السبئية متحف فولكار كوندى بهامبرع



(صورة رقم ٤٥)
رأس لتمثال برونزي (متحف صنعاء)



(صورة رقم ٤٦)
رأس من الرخام « وهب الله » (متحف مأرب)



(صورة رقم ٤٧)
لوحة من الرخام المتحف البريطانى



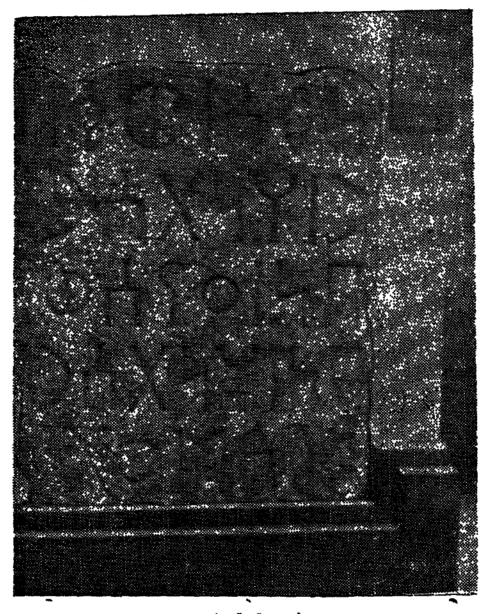
(صورة رقم ٤٨)
الغراس : بقية نقش : « عبد ال بنو .. شبام بنو »



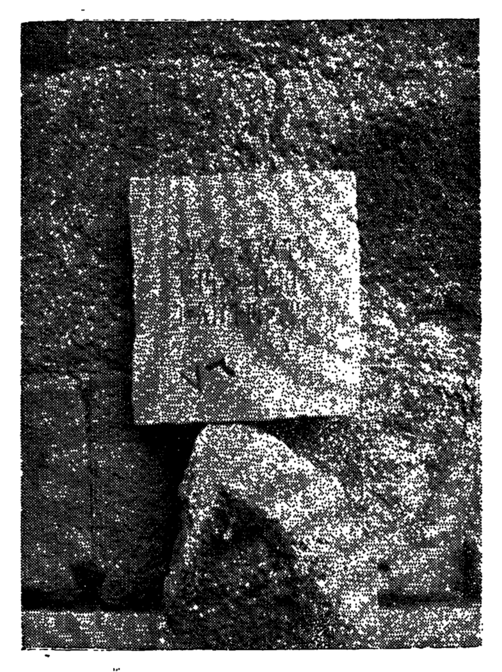
(صورة رقم ٤٩)
شبام سخيم : جزء من نقش يذكر زعيما من أسرة سخيم اسمه اشوع (ابه قينان)



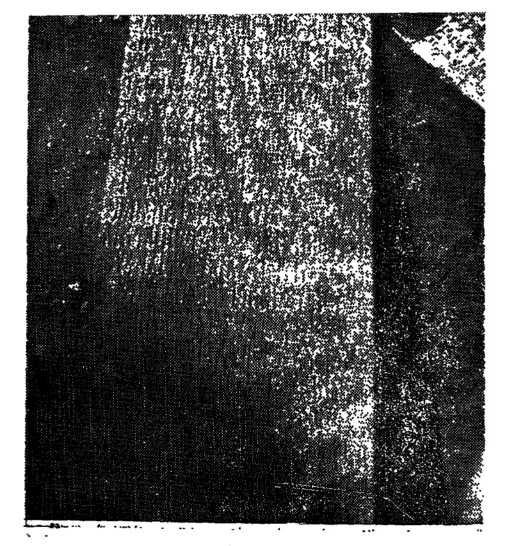
(صورة رقم ٥٠)
صرواح : نقش يكرب ملك وتار ملك سبأ ٥٤٠ ـ ٥٢٠ ق٠م



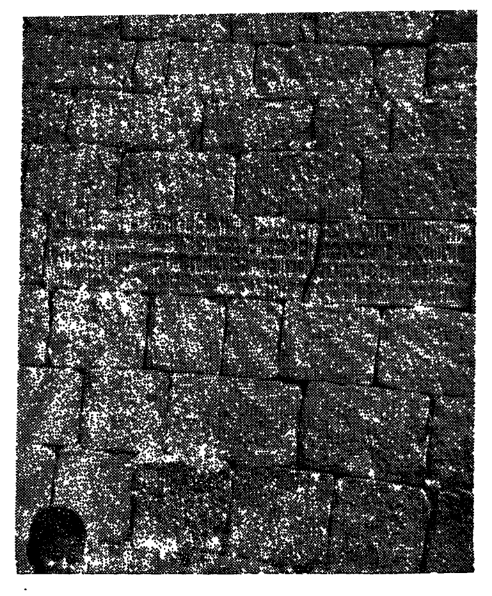
(صورة رقم ٥١)
شاهد قبر هنتسار بن عيسى من أسرة افكل عزاف (المتحف البريطاني)



(صورة رقم ٥٢)
شاهد قبر لامرأة سبئية من أسرة عران (متحف صنعاء)



(صورة رقم ٥٣)
نقش لزعيم قبيلة غيمان يذكر مناصرته لسعد شمس سدع به الشرح يحضب ملك سبأ وذوريدان (٣٥ ــ ١٥ ق م) (معبد المقه بمأرب)



(صورة رقم ٥٤)
نقش بواجهة المسجد الأعلا بقرية خاف يذكر قصر (مهعرن)
وآلهة سبأ وملك سبأ الشرح يحضب



(صورة رقم ٥٥)
شبام سنحيم : لوحة تحمل اسم الاله (صنعن)



(صورة رقم ٥٦)
شبام سخيم : نقش كتب باسم : « تبع كرب ... وقعره يشف »



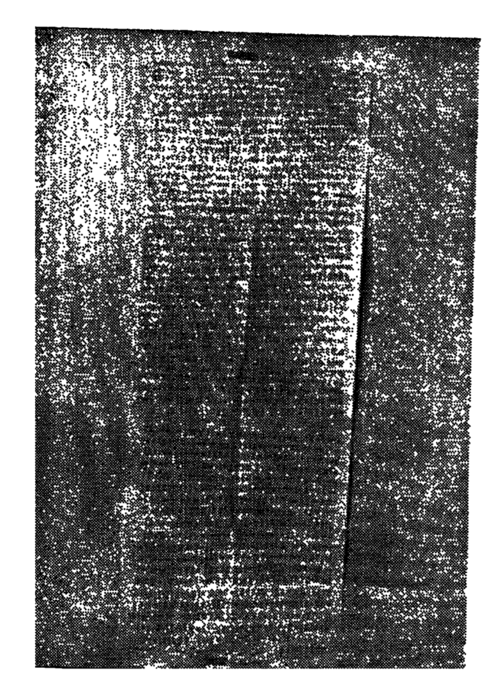
(صورة رقم ٥٧)
من آثار شبام سخيم



(صورة رقم ٥٨)

مأرب : قطعة برونزية تحمل اسم الملك يدع ال وأخيه قيعهر ملكى سبأ

(٧٨٠ ـ ٧٣٠ ق ٠ م)



(صورة رقم ٥٩)
نقش ابرهة يشير الى قصة خروجه الى مارب واعادة بناء السد سنة (٥٤٢م) .